

عمر بن عبد العزيز

تأليف الأستاذ الإمام
ابن كثير القرشي
تقديم وتعليق
الشيخ أحمد الشرباصي



مذاهب وشخصيات

عمر بن عبد العزيز

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ
ابن كثير القرشي

تقديم وتعليق
أحمد الشرباصي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تبارك وتعالى ، ونصلي ونسلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم محمد وآله ، وصحبه وحزبه ، ونستفتح بالذى هو خير ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

تقديم

أعجبتني كثيراً شخصية الحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وبدأ هذا الاعجاب منذ الصغر ، وقد ترجمت عن أعجابي هذا فى فاتحة الجزء الأولى من كتابى « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز »[1] حيث قلت عنه :

« عمر بن عبد العزيز . . . هذا الأسم الباهر الرائع ، المثير اللامع . . . هذا الأسم الذى يشرق سيرة صاحبه إشراق الشمس ، وينير أنارة البدر ، ويريق بخلقه رقة النسيم الوادع ، ويشفى بحكمته شفاء الدواء الناجع ، ويقوى فى عقيدته قوة الحق الصادع . ويكون مع الضعفاء ماء سلسلا نميرا ، ومع العتاة الأسداء أسداً هصوراً .

هذا الأسم الذى يتردد فى فم الزمان حينا بعد حين ، ومرة بعد مرة ، فإذا سمعه المكربون أحسوا فيه نسمات العزاء ،واستروحوا فيه رائحةالتخفيف والمواساة وإذا سمعه البغاة أو الطغاة أحسوا له فى نفوسهم وأعماقهم هزة تخيفهم وتزعجهم .

هذا الاسم عرفته وأحببته وألفته وصادقته منذ أدركت معرفة الرجال فى التاريخ ، فكان له فى نفسى مكانة ، وفى خيالى صورة ، وعلى لسانى حديث ، وفى قلبى كلام » .

وقد سبق لى أن أخرجت عن عمر كتابا آخر جعلت عنوانه : « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » ، وعرضت فيه تاريخ هذا الخليفة الراشد عن طريق الحوار ، مع الحرص على صورة التعبير التاريخى وروحه فى الحوار واستطعت ،

---

(١) نشرته مطابع الشعب فى سلسلة « كتاب الشعب » سنة ١٩٥٩ م ، فى جزءين .

مع أختيار الروايات ، أو اختصار الأسهاب ، أو إيضاح ما يحتاج إلى إيضاح » وقد ظهر الكتاب سنة ١٩٥٦ م .

ومنذ سنوات نظرت فى الترجمة المبسوطة التى وضعها الإمام الحافظ المفسر المؤرخ ابن كثير القرشى عن عمر بن عبد العزيز ، وجعلها بابا ملحوظا من تاريخه الكبير « البداية والنهاية » ورأيت أن هذه الترجمة جديرة بالتعليق والنشر، لتكون عاملا من عوامل التذكر بشخصية المصلح الإسلامى عمر بن عبد العزيز لأنى أعتقد أن هذه الشخصية جديرة بأن يتكرر الحديث عنها هنا وهناك ، وجديرة بما كتبه عنها الأولون ، وبما يجب أن يكتبه عنها معاصرون.

نعم أعرف أن هناك كتباً دارت حول سيرة عمر بن عبد العزيز ، فهناك السيرة التى كتبها ابن عبد الحكم ، والسيرة التى كتبها ابن الجوزى ، والسيرة التى كتبها الشيخ عبد الرءف المناوى ، والسيرة التى كتبها أحد تلاميذ ابن الجوزى، وكتاب « المنتقى العزيز فى فضائل عمر بن عبد العزيز » لابن قرا ، وقد شهاب الدين أحمد بن عمر بن على الحوار زمى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٨ هـ ، وهو مختصر لسيرة ابن عبد الحكم ، وكتاب عمر بن عبد العزيز للمرحوم الدكتور مصطفى الوكيل ، وكتاب عمر بن عبد العزيز للأستاذ أحمد زكى صفوت ضمن سلسلة « اقرأ » وكتاب « الخليفة الزاهد » للإستاذ عبد العزيز سيد الأهل ، وقد تكون هناك كتب أخرى أو فصول عن عمر بن عبد العزيز .

ولكن شخصية عمر جديرة بهذا وبأ كثر من هذا ، وهناك شخصيات أقل أثرا أو نفعا من شخصيته ومع ذلك كتب عنها الكاتبون أكثر مما كتب عن عمر بن عبد العزيز .

وحين علقت على السيرة التى كتبها ابن كثير عن عمر كان بين يدى ـ فى طليعة المراجع ـ التى استنبتها «سيرة عمر بن عبد العزيز» « على ماروا ه الإمام مالك وأصحابه ، تأليف أبى محمد عبد الله بن الحكم المتوفى سنة ٢١٤ هـ ، رواية أبنه أبى عبد الله محمد المتوفى سنة ٢٦٨ هـ ، رحمة الله عليهم أجمعين »[1] .

---

(١) هكذا جاء على غلاف الكتاب .

وابن عبد الحكم هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع ، الفقيه المالكى المصرى ، وهو مولى نافع مولى عثمان رضى الله عنه ، وقد ولد فى الإسكندرية سنة ١٥٥ هـ ، وتوفى فى رمضان سنة ٢١٤ هـ ، وقبره إلى جانب قبر الإمام الشافعى ، وهو ينسب إلى « حقل » وهى قرية بجانب « أيلة » على البحر .

وكان ابن عبد الحكم أماما فقيها ، ثقة صدوقا ، فاضلا ، متحققاً بمذهب الإمام مالك ، وكان غنيا موسراً ذا جاه ومنزلة ، وهو من أفاضل أصحاب الإمام مالك وكان صديقاً للإمام الشافعى ، وعليه نزل الشافعى حين قدم إلى مصر ، وبالغ ابن عبد الحكم فى أكرامه .

وكانت أسرة ابن عبد الحكم رفيعة الشأن فى مصر .

وروى ابن عبد الحكم عن الكثيرين ، وروى عنه الكثيرون ، وله تصانيف كثيرة فى الفقة .

والنسخة التى اعتمدت عليها هى بتصحيح وتعليق الأستاذ أحمد عبيد ، وهى من الطبعة الأولى ، بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م ، وهى فى مائة وثمانية وتسعين صفحة من الحجم المتوسط ، وفى أولها مقدمة للمحقق عن الكتاب ونسخه ومؤلفه وبآخرها فهارس بأسماء الكتب والرجال والنساء والقبائل والأماكن والبلدان .

ويلاحظ على الكتاب أنه أقل فى المعلومات والأخبار عن كتاب ابن الجوزى الذى نتحدث عنه بعد قليل ، والكتاب أيضاً قليل التبويب والترتيب ، ولكنه مع ذلك قيم نفيس ، يقول فيه النووى فى كتابه : (تهذيب الأسماء واللغات) : «وقد جمع ابن عبد الحكم مناقب عمر بن عبد العزيز فى مجلد اشتمل على جميل سيرته وحسن طريقته ، وفيه من النفائس مالا يستغنى عن معرفته والتأديب به»[1] .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى ، ج ٢ ص ١٧ .

وأما الكتاب الثانى الذى كان أيضاً فى طليعة مارجعت إليه فهو « سيرة عمر بن عبد العزيز » تصنيف الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى التيمى البغدادى الحنبلى ، وهو أحد أفراد العلماء ، والمبرز فى علوم كثيرة ، الكثرة من التأليف فى شتى العلوم ، كالتفسير والحديث والتاريخ والفقه والطب والحساب واللغة ، وكتبه يضيق المجال عن ذكرها .

وقد ولد سنة ٥١٠ هـ ؛ ومات أبوه وعمره ثلاث سنوات ، ووعظ ابن الجوزى وهو ابن عشرين سنة ، وكان ديناً متحفظا . وكان له مجالس وعظ يحضرها الآلاف من الكبراء والعامة ، وله شعر كثير .

وتوفى ابن الجوزى ليلة الجمعة الإثنى عشر من رمضان سنة ٥٩٧ هـ ، وله سبع وثمانون سنة ، وأوصى بأن يكتب على قبره ما يلى :

يا كثير العفو لمن كثرت الذنوب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف ، وجزاء الضيف إحسان إليه !

وقد طبعت هذه السيرة فى مطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٣١ هـ ، بتصحيح وتعليق الأستاذ محب الدين الخطيب ، وهى فى ٣٣٢ صفحة من الحجم المتوسط ، ولم يقدم الناشر للكتاب ، ولكنه وضع بآخره فهارس وافيه للموضوعات والأماكن والرجال .

وهذا الكتاب يميل إلى التبويب والترتيب ، وقد قسمه المؤلف – كما جاء فى أول حديثه – إلى أربعة وثلاثين فصلا ، ومع ذلك دخل ، يخص بعض الأبواب فى بعض الأبواب الأخرى ، وفيه تكرار للأخبار بتعدد الروايات ولكنه أوفى سيرة من السير التى كتبها القدماء عن عمر بن عبد العزيز من جهة السعة والشمول .

* * *

ومن اللافت للنظر أن ابن كثير — وهو وصاحب الكتاب الذى نقدمه الآن وهو أيضاً متأخر فى الزمن عن بن الجوزى وابن عبد الحكم — قد ذكر كتبا كثيرة لابن الجوزى ، ولم يذكر كتابه فى « سيرة عمر بن عبد العزيز » .
لقد ذكر ابن كثير من كتب ابن الجوزى كتابه فى التفسير « زاد المسير » ، وتفسيره المبسوط ، وجامع المسانيد ، والمنتظم فى تواريخ الأمم ، ويقول أنه « فى عشرين مجلدا ، وقد أوردنا فى كتابنا هـــذا[1] كثيرا منه من حوادثه وتراجمه » .

وذكر له كتاب المقامات ، ومجموعة الخطب والأحاديث الموضوعة والعلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، ولقط الجمان فى كان وكان[2] . . .

ولكن ابن كثير على الرغم من هذا لم يذكر كتاب ابن الجوزى عن سيرة عمر بن عبد العزيز ، فى أثناء حديثه عن عمر .

والظاهر أن ابن كثير انتفع فى حديثه عن عمر بن عبد العزيز بما كتبه ابن الجوزى ، بدليل ذكره لكتب ابن الجوزى ، وهذا يفيد اطلاعه عليها ، وهو ينقل عن ابن الجوزى فى كتابه وبخاصة كتابه « الباعث الحثيث » .

ومن اللافت للنظر كذلك أن ابن كثير ذكر ترجمة وجيزة لأبى محمد عبد الله بن عبد الحكم فى الجزء العاشر من كتاب البداية والنهاية (صفحة ٢٦٩) ، ولكنه لم يشر فى هذه الترجمة إلى كتاب ابن عبد الحكم عن عمر بن عبد العزيز.

ثم عاد ابن كثير فى الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية (صفحة ٤٢) فذكر فيمن توفى سنة ٢٦٨ هـ اسم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى الفقيه المالكى صاحب الشافعى ، وهو ابن كاتب السيرة العمرية ، وراوى هذه السيرة عن أبيه ، ولكن ابن كثير لم يشر إلى رواية محمد لهذه السيرة العمرية عن أبيه : عبد الله ابن عبد الحكم !! . . .

* * *

(١) يعنى كتابه الضخم « البداية والنهاية » .
(٢) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٣ ص ٢٨ وما بعدها .

هذا ، ولقد كتبت فيما يلى تعريفا كافيا عن ابن كثير ، لأن حياته مجهولة عند الكثيرين ، ثم يأتى بعد هذا التحريف حديث ابن كثير عن عمر بن عبد العزيز الذى علقت عليه بما يفيد وما يعين متتبع السيرة العمرية على الرجوع إلى مصادرها ومظانها ، وبخاصة سيرة ابن عبد الحكم وسيرة ابن الجوزى كما أشرت . . .

وأرجو أن يكون هذا الحديث عن عمر بن عبد العزيز سببا من أسباب الخير ، وحافزا من حوافز البر ، وباعثا من بواعث الهمم والعزائم ، فمما لاشك فيه أن أدمان المطالعة لسير الأخيار من الرجال والأبطال فيه عظة وعبرة ، وفيه تجلية للقدوة والأسوة ، ولقد روى ابن الجوزى عن الإمام العظيم أحمد بن حنبل أنه قال هذه الكلمة الآسرة الرائعة[1] :

« إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ، ويذكر محاسنه وينشرها . فاعلم أن من وراء ذلك خيرا إن شاء الله » ! .

ونحن ندعو الله جلت قدرته وعزت كلمته أن يجعل من وراء جهدنا خيراً ، وأن يكتب لنا فيه ثوابا وأجراً ، وأن يمن علينا برضاه وحسن تقبله ، أنه أكرم مسئول وأفضل مأمول .

أبو حازم

أحمد الشرباصى

(١) انظر كتاب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، ج ١ ص ١٠ .

التعريف بابن كثير

ابن كثير :

الإمام ابن كثير علم من أعلام القرن الثامن الهجرى ، استطاع أن يخلد اسمه وذكره بين فطاحل الأئمة العلماء ، فتفسيره الجليل للقرآن العظيم يدل على واسع علمه وكبير اطلاعه على السنة ، إذ هو يفسر القرآن ، ثم بالأحاديث المشهورة ، ويبين منزلتها وقيمتها ، ويذكر مع ذلك ما أثر عن الصحابة والتابعين ، ولذلك حق للامام جلال الدين السيوطى أن يقول أنه « لم يؤلف على نمطه مثله » .

وقد أشار ابن كثير إلى طريقته فى التفسير فى مقدمة كتابه هذا الذى سماه : « تفسير القرآن العظيم » حيث يقول .

« فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى مكان فإنه قد بسط فى مكان آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له » .

ثم يقول : إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرآن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين[1] »

ثم يقول : « إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ، ولا وجدته من الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين[2] » . . . .
ثم يقول : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام[3] » .

---

(١) كتاب : « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير ، ج ١ ص ٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥ .

وكتاب ابن كثير الضخم المسمى : « البداية والنهاية » يعد معلمة كبرى ، ومصدراً أساسياً من مصادر التاريخ الإسلامي والعربي ؛ ولم يكتف ابن كثير فيه بالرواية أو السرد ، بل هو يقف مواقف كثيرة للنقد والتمحيص ، والتجريح والتعديل — ولا عجب فهو محدث — وهذا الكتاب مرجع جليل لكل مؤرخ ، ولكل باحث فى تاريخ العرب والمسلمين ؛ وقد استفاد منه الكثيرون قديماً وحديثاً .

وكتب ابن كثير الأخرى فى الفقه والحديث والرجال والطبقات تدل على طول باعه وعلو مكانته وسمو منزلته بين العلماء .

وهو يتنقل عادة فى كتاباته وتآليفه بين مجالات ثلاثة : مجال القرآن الكريم ، ومجال السنة النبوية الشريفة ، ومجال التاريخ والآثار ، وما عدا هذه المجالات يأتى تبعاً أو عرضاً .

نسبه :

هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء ابن زرع القرشى ، البصروى الأصل ، الدمشقى النشأة والتربية والتعليم ، الشافعى المذهب .

والده :

هو الشيخ الخطيب أبو حفص شهاب الدين عمر بن كثير ، كان خطيب قريته ، ومات وابنه — ابن كثير — فى سن الثالثة — وقيل الرابعة — فتولى تربيته أخوه الشيخ عبد الوهاب ، وعلمه فى أول أمره .

وقد تحدث ابن كثير عن والده فى كتابه « البداية والنهاية[١] » فذكر أنه الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشى ، من بنى حصلة ، وهى من الأشراف ، من قرية يقال لها « الشركوين » غربى بصرى ، بينها وبين أذرعات .

(١) البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣١ .

ولد بها فى حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم والفقه والعربية ، وكان يقول الشعر الجيد الرائق الفائق ، وكان حنفياً فى أول الأمر ، ثم تمذهب للشافعى .

وتولى الوالد خطابة القرية شرقى بصرى ، وكان يجيد الخطابة ، وأقام بها نحو من اثنتى عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التى منها أم ابن كثير وأقام بها مدة طويلة ، وكان ذا تأثير فى الناس ، متديناً تقيا .

وولد له جملة أولاد ، بعضهم من والدة الإمام ابن كثير ، وبعضهم من زوجة أخرى ، وقد سمى ابن كثير هذا بإسماعيل باسم أخ له سابق عليه فى الميلاد ، كان قد تعلم وتفقه وأعجب أباه ، ثم سقط من سطح « الشامية البرانية » فمات ، فحزن عليه أبوه كثيرا ، ولما ولد ابن كثير سماه أبوه « إسماعيل » باسم أخيه ذلك .

وتوفى والد ابن كثير فى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة .

وقد ذكر ابن كثير لأبيه أبياتاً غزلية ثم عقب عليها بقوله : «والله يغفر له ما صنع من الشعر » ! . . .

مولده :

ولد ابن كثير بقرية « مجدل »[1] ، من أعمال مدينة بصرى شرق دمشق ، وقيل بقرية « سوق بصرى » ، وكان ميلاده سنة إحدى وسبعمائة هجرية ، الموافقة سنة ثنتين وثلاثمائة وألف ميلادية .

كنيته ولقبه وأوصافه :

وكنية ابن كثير هى : « أبو الفداء » ، ولقبه هو : « عماد الدين » ، وقد ذكر المؤرخون له أوصافاً كثيرة تنبئ عن علو المكانة ورفعة المنزلة ، وهذه هى الأوصاف التى رأيتها للإمام ابن كثير فى مختلف المراجع :

(١) بعض المراجع تذكرها : « مجدل » وبعضها تذكرها : « مجيدل »

فهو الشيخ الإمام الأوحد ، العلامة الحافظ الكبير ، مفتى الإسلام ، قدوة العلماء ، شيخ المحدثين ، بقية السلف الصالحين ، إمام أئمة الحديث والتفسير بالشام المحروس ، المفتى المحدث البارع ، الفقيه المفسر المؤرخ ، المتقن المتفنن العمدة فى علم الحديث ، المقرئ النقال الجامع ، المؤلف المصنف المدرس ، الكاتب المحصل الدائب ، المطلع المتقى . . .

انتقاله إلى دمشق :

انتقل ابن كثير بعد وفاة أبيه بسنة إلى دمشق ، وكان عام سبعة وسبعمائة وابن كثير يومئذ فى الخامسة من عمره ، وتلقى الفقه على طائفة من المشايخ ، منهم : الشيخ برهان الدين إبراهيم الغزارى الشهير بابن الفركاح المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وكمال الدين بن قاضى شهبة .

سماعه فى دمشق :

وسمع ابن كثير من مسند الشام بهاء الدين القاسم بن مظفر بن عساكر المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ومن شيخ الظاهرية عفيف الدين اسحق ابن يحيى الآموى المتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ومن أحمد بن أبى طالب الشهير بابن الشحنة المتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة ، ومن عيسى بن المطعم ، ومحمد بن زراد ، وابن الشيرازى .

من لازمه وقرأ عليه :

لازم ابن كثير شيخ الإسلام الإمام المشهور تقى الدين بن تيمية المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وقرأ عليه كثيرا ، وأحبه وانتفع بعلومه . وأخذ عنه الكثير من الحديث ، وكانت لابن كثير خصوصية بالشيخ ابن تيمية ، وكان يناضل عنه ، ويتابعه فى كثير من آرائه ، ويفتى برأيه فى مسألة الطلاق ، وابتلى ابن كثير بسبب هذه الصلة وناله من جرائها كثير من الأذى .

ولازم ابن كثير الشيخ جمال يوسف بن الزكى المزى[1] المتوفى فى سنة

---

(١) المزى : بكسر الميم وتشديد الزاى المكسورة ، نسبة إلى قرية « المزة » وهى كبيرة من ضواحى دمشق .

ثلاثين وأربعين وسبعمائة ، وهو صاحب كتاب « تهذيب الكمال » وكتاب « أطراف الكتب الستة » وهو والد زوجة ابن كثير ، وقد انتفع ابن كثير به وتخرج عليه ، وهو ينوه به فى كتبه ويثنى عليه . . .

وقرأ ابن كثير على المؤرخ الحافظ الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز المعروف بالذهبى والمتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وكذلك قرأ ابن كثير الأصول على الأصفهانى .

من أجاز له :

وقد أجاز لابن كثير من مصر أبو موسى القرافى ، والحسينى ، وأبو الفتح الدبوسى ، وعلى بن عمر الوانى ، ويوسف الختنى ، وغيرهم .

وظائفه :

تولى ابن كثير جملة وظائف منها التدريس ، والإفتاء ، وولى مشيخة أم الصالح بعد موت الإمام الذهبى ، كما ولى بعد موت الإمام السبكى مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أخذت منه .

أسلوب ابن كثير :

يميل أسلوب ابن كثير إلى الوضوح والجلاء ، وهو أحيانا يتعمد السجع ، وقد يسرف فيه أو يتكلف ، ولكنه إذا تخلف من هذا السجع اندفع يتحدث حديث العالم الذى تشغله الفكرة والمعانى عن التكلف فى الأسلوب والمعانى ، وشتان بين هذه العبارة المسجوعة التى وردت فى كتابه « الإجتهاد فى طلب الجهاد » متحدثا بها عن هجوم الفرنجة على طرابلس والتى يقول فيها .

« فأقبل المدبر فى شوانى ، مملوءة بكل لعين نصرانى ، تزيد عدتها على المئة والثلاثين ، فلعنة الله على من فيها أجمعين ، فنازلوها ، فنازلوها ، فلم يكن بها من المقاتلة من يحول بينهم وبين مقاصدهم التى حاولوها ، فنفضوا إليها من المراكب وصارت جماعتها فيها مواكب ، فعاثوا فيها فساداً ، ولكن لم يقضوا منها مراداً .

فبينما هم فيها وقد خاضت الكلاب فى خيس الأسود ، وتبدلت الوجوه المباركة النيرة بالوجوه الملعونة السود ، إذ جاءهم جنود من التركمين متراكمين ، كانوا الجيش الإسلام الكمين ، فحملوا عليهم مكبرين ، وعلت الأصوات ، وارتفعت الدعوات ، إلى رب الأرض والسموات ، فنزل النصر ، وانخفض الكفر ، وانقلبوا هاربين ، وخرجوا منها صاغرين ، خاسئين خاسرين »[١].

أقول : شتان بين هذه العبارة المسجوعة المتكلفة وبين العبارة العلمية السهلة التى يفتتح بها كتابة « الباعث الحثيث »[٢] إذ يقول فى إيجاز ووضوح :

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . أما بعد ، فإن علم الحديث النبوى — على قائله أفضل الصلاة والسلام — قد اعتنى بالكلام فيه جماعة من الحفاظ قديما وحديثاً ، كالحاكم والخطيب ، ومن قبلهما من الأئمة ، ومن بعدهما من حفاظ الأمة .

ولما كان إهم العلوم وانفعها أحببت أن أعلق فيه مختصراً نافعا جامعا معا لمقاصد الفوائد ، ومانعا من مشكلات المسائل الغرائد ، وكان الكتاب الذى اعتنى بتهذيبه الشيخ الإمام العلامة أبو عمرو (ابن الصلاح) تغمده الله برحمته — من مشاهير المصنفات فى ذلك بين الطلبة لهذا الشأن ، وربما عنى بحفظه بعض المهرة من الشبان ، سلكت وراءه واحتذيت حذاءه ، واختصرت ما بسطه ، ونظمت ما فرطه »[٣] .

شعره :

يظهر ان ابن كثير كان يقول الشعر المتوسط فى أحيان قليلة ، ومن شعره قوله :

---

(١) كتاب الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ص ١٣ .

(٢) بخلاف مقدمة كتابه « البداية والنهاية » فهى طويلة تتضمن أسجاعا كثيرة .

(٣) كتاب « اختصار علوم الحديث » أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث » لابن كثير وبتعليق الأستاذين الفاضلين محمد عبد الرزاق حمزة وأحمد محمد شاكر ، وقد رجعنا إلى هذا الكتاب فى أكثر من موطن .

تمر بنا الأيام تترى[١] ، وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذى مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر !

وكذلك نراه يذكر فى « البداية والنهاية » أرجوزة لبعض الشعراء يذكر فيها جميع الخلفاء الإسلاميين حتى يصل إلى خلافة المستعصم ، وهنا تقف أرجوزة ذلك الشاعر ، فيكملها ابن كثير بأبيات يصرح بأنها له ، ويقول فى أولها :

ثم ابتلاه الله بالتتار أتباع جنكيز خان الجبار

صحبته ابن ابنه هولاكو فلم يكن من أمره فكاك

فمزقوا جنوده وشمله وقتلوه : نفسه وأهله

ودمروا بغداد والبلادا وقتلوا الأحفاد والأجدادا

وانتهبوا المال مع الحريم ولم يخالفوا سطوة الفطيم

واستمر ابن كثير فى نظمه حتى ذكر نحواً من أربعين بيتا من هذا الطراز[٢] . . .

وفيما يلى ما استطعنا الوقوف عليه من مؤلفات

١ — تفسير القرآن العظيم ، وهو معروف مشهور قيم .

٢ — البداية والنهاية ، فى التاريخ ، ذكر فيه تاريخ العرب والسلام حتى عصره .

٣ — التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل .

٤ — الهدى والسنن فى أحاديث المسانيد والسنن ، ويعرف بجامع المسانيد .

٥ — طبقات الشافعية ، ومعه مناقب الشافعى . وبعضهم يذكر « مناقب الشافعى » اسما مستقلا لكتاب .

---

(١) تترى : أصلها وترى ، أى متتابعين ، وقلبت الواو تاء ؛ فالكلمة اسم ، وليست بفعل .

(٢) انظر البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٠٩ .

٦ — اختصار علوم الحديث ، أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ، اختصر فيه ابن كثير كتاب أبى عمرو عثمان بن صلاح عبد الرحمن الشهرزورى المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وهو الكتاب المسمى « علوم الحديث » والمشهور باسم « مقدمة ابن الصلاح » . وقد استدرك ابن كثير على ابن الصلاح استدراكات مفيدة .

٧ — تخريج أحاديث أدلة التنبيه ، فى فقه الشافعية .

٨ — تخرج أحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلى .

٩ — شرح صحيح البخارى . بدأ فيــــه ولم يتمه . وابن كثير فى كتابه « تفسير القرآن » ج ٤ ص ٥٢٨ يشير إلى حديث بدء الوحى ويقول : « وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه فى أول شرحنا للبخارى مستقصى ؛ فمن أراده فهو هناك محرر ، ولله الحمد والمنة » .

١٠ — كتاب فى الأحكام ، وصل فيه إلى الحج ولم يتمه ، وقد أشار إليه ابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث »[1] وفى مواضع من « الباعث الحثيث » يذكر ابن كثير كتاباً له باسم « الأحكام الكبير »[2] ، وفى مواضع أخرى يذكره بعنوان : «الأحكام الكبير والصغير[3]» ، فلعلهما كتابان هما : كتاب الأحكام الكبير ، وكتاب الأحكام الصغير .

١١ — مسند الشيخين « يعنى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما » .

١٢ — سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول عنها فى حديث عن عمر بن عبد العزيز : « وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب فى مجلد على حدة ، ومسنده فى مجلد ضخم » . كما يقول فى « البداية والنهاية » عن عمر بن الخطاب : « وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه ، وما ورد فى ذلك من

---

(١) الباعث الحثيث ، ص ٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

الأحاديث والآثار مطولا فى أول سيرته التى أفردتها على حدة ، ولله الحمد والمنة[١] » .

١٣ — مسند عمر . وذلك يفهم من العبارة السالفة . وينظر إيراد به جزء من « مسند الشيخين »المذكور سابقاً ، أم أن كلمة : « ومسنده فى مجلد ضخم» توحى بانفراده واستقلاله ؟!

١٤ — السيرة النبوية (مطولة)

١٥ — مختصر السيرة النبوية .

١٦ — الاجتهاد فى طلب الجهاد ، وهو رسالة لطيفة الحجم فى الحث على الجهاد ، ويظهر أنها كانت فى الأصل كتاباً كبيراً ثم اختصره ، بدليل قوله فى أول هذه الرسالة : وقد كنت جمعت فى ذلك مجلداً بسيطاً[٢] ، فاختصرت منهجاً وسطاً وسيطاً » [٣] .

١٧ — كتاب الفتن والملاحم . ذكره فى كتابه « الاجتهاد فى طلب الجهاد[٤] » ، وقد يكون المراد به المجلد الأخير من كتابه : « البداية والنهاية » ، كما ذكر ذلك ناشرو الكتاب فى أوله ، ويقول مصحح الكتاب فى آخر الجزء الرابع عشر منه أن الكلام على الفتن والملاحم ، وهى المسمى « النهاية » يبدأ من الجزء الخامس عشر[٥] .

١٨ — كتاب المقدمات ، وقد ذكره ابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث » مراراً[٦] .

١٩ — مختصر كتاب المدخل للبيهقى .

٢٠ — كتاب فى أبطال مزاعم اليهود الخيابرة . فقد حدث سنة إحدى وسبعمائة

(١) انظر البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٨١ .
(٢) بسيطا : مبسوطا ، أى واسعاً .
(٣) الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ص ٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢ .
(٥) انظر البداية والنهاية ، الجزء الأول ، المقدمة للناشرين ، وانظر ج ١٤ ص ٣٢٤ .
(٦) انظر مثلا الصفحات ٣٨ و ١٠٥ و ١١٢ و ١٥٤ من كتاب الباعث الحثيث .

إن اليهود الخيابرة زوروا كتاباً نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم زاعمين أنه وضع الجزية عنهم، وظهر أن الكتاب مفتعل مزور، وبين الإمام ابن تيمية خطأهم وزورهم.

يقول ابن كثير: «وقد وقفت أنا على هذا الكتاب، فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر، وقد توفى سعد قبل ذلك بنحو من سنتين، وفيه: «وكتب على بن أبي طالب. وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين على، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبي الأسود الدؤلى عنه، وقد جمعت فيه جزءاً مفردا، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردى فى كتاب أصحابنا فى ذلك العصر[1]».

أقوال المؤرخين فيه:

ذكر كثير من المؤرخين عن ابن كثير عبارات تدل على تقديرهم له وعرفانهم قدره بين الأئمة.

يقول عنه الحافظ الذهبي فى المعجم المختص:

«الإمام المفتى المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة».

ويقول عنه الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة:

«اشتغل بالحديث مطالعة فى متونه ورجاله، وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين فى تحصيل العوالى وتمييز العالى من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثى الفقهاء[2]».

(١) البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٩.

(٢) أجاب السيوطى عن ذلك فقال: «العمدة فى علم الحديث على معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحا وتعديلا، وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة». انظر الباعث الحثيث، ص ١٧، وعنه أخذنا الكلمات المذكورة هنا.

ويقول عنه المؤرخ ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى :

« لازم الاشتغال ودأب ، وحصل وكتب ، وبرع فى الفقه والتفسير والحديث ، وجمع وصنف ، ودرس وحدث وألف ، وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك ، وأفتى ودرس إلى أن توفى » .

ويقول عنه المؤرخ ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب :

« الحافظ الكبير عماد الدين ، حفظ التنبيه وعرضه سنة ١٨ ، وحفظ مختصر ابن الحاجب ، وكان كثير الإستحضار قليل النسيان ، جيد الفهم ، يشارك فى العربية ، وينظم نظما وسطا ، قال فيه ابن حبيب : سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى ، وشغف وحدث وأفاد ، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد واشتهر » .

ويقول عنه الحافظ شهاب بن حجى — وهو من تلاميذه — :

« احفظ من أدركناه لمتون الحديث ، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وما أعرف إنى اجتمعت به على كثرة ترددى إليه إلا واستفدت منه » .

وقال فيه شيخه الإمام ابن تيمية أنه كان فقيها متفننا ، ومحدثا ومتقنا ، ومفسراً نقالا . .

أخلاق بن كثير وصفاته :

نستطيع أن نلحظ من العبارات التى قالها المؤرخون عن بن كثير إتصافه بكير من صفات الخير ، فهو أولا يتسم بصفة الوفاء . ويلوح لنا بذلك من وفائه لشيخه الأمام بن تيمية ، ودفاعه عنه ومناضلته عن آرائه ، ومتابعته له فى أفكاره ، حتى تعرض ابن كثير بسبب ذلك للأذى والإبتلاء والإمتحان ولقد توسع ابن كثير فى الحديث عن شيخه ابن تيمية فى كتابه « البداية والنهاية » بصورة لافته للبصيرة والبصر[1] .

---

(١) انظر الجزءين الثالث عشر والرابع عشر من البداية والنهاية لابن كثير .

وابن كثير رجل صادق موثوق به ، لا يتحدث إلا عن ضبط وتحرير ، وهو قوى الذاكرة قليل النسيان كثير الاستحضار ، وهو مع أمانته وتفقه وتحديثه حسن المفاكهة خفيف الروح ، وهو لا يحرم نفسه من متعة الأديب ، فهو يقول الشعر أحيانا ، وأن كان يتحرج فى هذا الباب ، فلا يهيم مع الشعراء فى كل واد ، ولا يشايع أتباع الشعراء الغاوين ، ولقد رأينا ابن كثير وهو يسأل لأبيه المغفرة من الله لأنه قال أبياتا من الشعر فيها غزل ليس بالجارح ، ولو بالنسبة إلى غزل غيره من الشعراء .

ومن هذه الأبيات قوله :

نأى النوم وعن جفنى، فبت مسهداً	أخاف كلف، حلف الصبابة موجداً
سمير الثريا والنجوم ، مدلها	فمن ولهى خلت الكواكب راكداً
طريحا على فرشى الصبابة والأسى	فما ضركم لو كنتم لى عوداً
تقبلنى أيدى الغرام بلوعة	أرى النار من تلقائها لى أبرداً
ومزق صبرى بعد جيران حاجر	سعير غرام بات فى القلب موقداً
فأمطرته ومعى ، لعل زفيره	يقل فزادته الدموع توقدا

واستمر والد ابن كثير فى مثل هذا الشعر حتى أكمل ثلاثة وعشرين بيتا ، وعلق ابن كثير على ذلك بقوله : « والله يغفر له ما صنع من الشعر » ! ! . .

وابن كثير رجل من أئمة الصلاح والتقى ، والإرشاد والهدى ، يعظ بالقول ، وهو يعرف لنفسه قدرها ومكانتها ، وأن كنا نلاحظ أنه يجامل أحيانا ، أو يتوسع فى مدح الرؤساء ، كأن يقول فى أول كتابه . « الاجتهاد فى طلب الجهاد ، وهو يشرح لنا السبب فى تأليف الكتاب :

« أما بعد ، فقد أمر من أمره عز وغنم ، وطاعته فرض وحتم — وهو المقر الشريف العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكافلى ، الزعيمى ، الغياثى ، المجاهدى ، المرابطى ، المثاغرى ، السيفى (منجك) نائب السلطنة المعظمة بالشام المحروسة ، أعز الله أنصاره ، وأدام ملك سلطانه واقتداره — أن أكتب ما تيسر من

الكتاب والسنة والآثار الحسنة ، فى المرابطة بالثغور المحروسة الإسلامية ، ليرغب أهلها فى ثواب ما أهلهم الله له ، من لرباط فى الثغور الإسلامية ، التى هى[١] حفظ حوزة الإسلام ، وأمان الأنام ، فى جميع المعاقل والأقطار ، فى سائر الليالى والأيام .

فأجبته إلى ما أمر ، لأنه نائب الإمام ، وفيما أمر طاعة لله ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام[٢] » .

ومن أخلاق ابن كثير أيضاً احترامه شيوخه ، وإجلاله مقامهم ، فهو كلما ذكر أحداً منهم عبر عنه بقوله : « شيخنا » وفى أكثر الأحيان ينعته بنعت حسن[٣] وقد يتوسع فى نعوت التقرير لشيوخه ، كقوله عن شيخه المزى فى كتاب « اختصار علوم الحديث » :

« وقد كان شيخنا الحافظ الكبير الجهبذ[٤] أبو الحجاج المزى — تغمده الله برحمته — من أبعد الناس عن هذا المقام — يعنى مقام الوقوع فى تصحيف ألفاظ الحديث — ومن أحسن الناس أداء للاسناد والمتن ، بل لم يكن على وجه الأرض — فيما نعلم — مثله فى هذا الشأن أيضاً ، وكان إذا تغرب[٥] عليه أحد برواية شىء مما ذكره الشراح على خلاف المشهور عنده يقول : هذا من التصحيف الذى يقف صاحبه ألا على مجرد الصحف والأخذ منها »[٦] .

ويعود فيقول عن المزى ومعرفته الخفى من المراسيل فى الأحاديث : « وهذا النوع إنما يدركه نقاد الحديث وجهابذته قديماً وحديثاً ، وقد كان شيخنا

(١) صفة للمرابطة ، ولو قال : الذى هو ، لكان صفة للرباط .

(٢) انظر كتاب الاجتهاد إلى طلب الجهاد ، ص ٥ .

(٣) كقوله : « شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية » انظر الباعث الحثيث ، ص ٢٨٨ . وكقوله : « وكذلك كتاب التاريخ لشيخنا العلامة أبى عبد الله الذهبى رحمه الله ، وله كتاب طبقات الحفاظ ، وهو مفيد جداً » انظر المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

(٤) الجهبذ : بكسر الجيم ، النقاد الخبير .

(٥) تغرب : أبعد وأتى بغريب .

(٦) كتاب اختصار علوم الحديث ، أو الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ .

الحافظ المزى أماماً فى ذلك ، وعجبا من العجب ، فرحمه الله ، وبل بالمغفرة ثراه »[1]

ويعود ثالثة إلى شيخه المزى فيذكره فى حديثه عن معرفة رواية السابق واللاحق ، فيقول : « وقد أكثر من التعرض لذلك شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزى فى كتابه (التهذيب) ، وهو مما يتحلى به كثير من المحدثين وليس من المهمات فيه »[2] .

* * *

وابن كثير مع أجلاله لشيوخه ، وعرفانه قدرهم ، لا يبخس نفسه حقها ، فهو مثلا يتحدث عن المشابهين فى الاسم وأسم الأب أو النسبة من رجال الحديث ، ثم يقول :

« وقد أعتنى شيخنا المزى فى تهذيبه ببيان ذلك ، وميز المتقدم والمتأخر من هؤلاء بيانا حسنا ، وقد زدت عليه أشياء حسنه فى كتابى (التكميل) ولله الحمد »[3] .

فهو بعد أن يعطى شيخه حقه من التقرير ينوه بما أضافه هو من جديد ! ..

ويتحدث ابن كثير عن الكتب المؤلفة فى معرفة الثقات والضعفاء وغيرهم من الرواة ، فيذكر جانبا منها ويقول · « وتهذيب شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى ، وميزان شيخنا الحافظ أبى عبد الله الذهبى ، وقد جمعت بينهما ، وزدت فى تحرير الجرح والتعديل عليها فى كتاب ، وسميته (التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) وهو من أنفع شىء للفقيه البارع ، كذلك للمحدث »[4] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

مصادر ترجمته :

١ — الرد الوافر ، لإبن ناصر الدين الدمشقى المتوفى سنة ثنتين وأربعين وثمانمائة .

٢ — الدرر الكامنة ، للحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة .

٣ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، لإبن تغرى بردى الحنفى الأتابكى الظاهرى المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة .

٤ — ذيل الطبقات ، لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة أحدى عشرة وتسعمائة .

٥ — شذرات الذهب،لإبن العماد الحنبلى المتوفى سنة تسع وثمانين وألف .

٦ — ذيل التذكرة ، للحافظ أبى المحاسن الحسينى .

٧ — طبقات المفسرين لمحمد بن على الداوودى المالكى .

وفاة ابن كثير :

توفى ابن كثير عليه رحمه الله فى يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة (الموافقة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائه وألف ميلادية) ومات وله من العمر أربع وسبعون سنة ، ودفن بمقبرة الصوفيه بدمشق .

رحمه الله رحمة واسعة

أحمد الشرباصى

فاتحة حديث ابن كثير

عن عمر بن عبد العزيز

ترجمة عمر بن عبد العزيز

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص[1] القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين.

وأمه : أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ويقال له : أشج بنى مروان[2].

وكان يقال: الأشج والناقص أعدلا بنى مروان ، فهذا هو الأشج ، وسيأتى ذكر الناقص[4].

كان عمر تابعيا جليلا.

روى عن أنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبدالله بن سلام ويوسف صحابي صغير ، وروى عن خلق من التابعين.

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أدرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز[5].

(١) هذه كنيته.

(٢) وروى أن اسمها (قريبة) كما فى هامش سيرة أبن عبد الحكم ، ص ١٨ . وفى تهذيب الأسماء للنووى أن أسمها (حفصة) ج ٢ ص ١٨ .

(٣) سيأتى بعد قليل ذكر السبب فى هذه التسمية . ووصفه النووى فى تهذيب الأسماء بأنه : تابعى بإحسان .

(٤) كان يقال فى المثل : « الأشج والناقص أعدلا خلفاء بنى مروان » وهم يقصدون بالأشج عمر بن عبد العزيز ، وبالناقص يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل الوليد ابن يزيد الفاسق . وإنما سمى الوليد بالناقص لأنه نقص الناس من أعطياتهم ما كان قد زاده الوليد ابن يزيد فى أعطياتهم وردهم على ما كانوا عليه فى زمن هشام .

وكان يزيد ورعا متدينا صالحا وبويع له بالخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة ، ولكن لم تطل أيامه ، فإنه توفى آخر هذه السنة .

أنظر البداية والنهاية لأبن كثير ج ٦ ص ٢٣٩ وج ١٠ ص ١١ وما بعدها .

(٥) ذكر بن خاقان لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى أنه قال : أئمة الهدى =

بويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم[1] .

ويقال : كان مولده فى سنة إحدى وستين — وهى السنة التى قتل فيها الحسين بن على — بمصر[2] وقال غير واحد .

وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين[3] : وقيل : سنة تسع وخمسين فالله أعلم .

وكان له جماعة من الاخوة ، ولكن الذين هم من أبويه : أبو بكر ، وعاصم ، ومحمد .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، وقال :

بلغنى أن عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلا رأى فى المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز — أو ليلة ولى الخلافه ، شك أبو بكر — أن مناديا بين السماء والأرض ينادى : أتاكم اللين والدين . وإظهار العمل الصالح فى المصلين .

فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب فى الأرض : ع م ر[4] .

= أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، فقال له حنبل : هذا كذا هو .

وقال أحمد بن حنبل : يروى فى الحديث : أن الله يبعث على رأس كل مئة عام من يصحح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا فى المئة الأولى فإذا هو عمر بن العزيز ، ونظرنا المئة الثانية فرآه الشافعى .

وقال إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه ، وينشرها ، فاعلم أن من وراء ذلك خيرا إن شاء الله .

وقال ابن حنبل فى عمر بن عبد العزيز : ما كان أشده على بنى أمية . أنظر « سير عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزى ، ص ٦٠ و ٦١ و ١٢٠ .

(٢) فى حلوان ، وفى سيرة ابن الحكم أنه ولد فى المدينة ونقل النووى عن تاريخ البخارى أن أصل عمر مدنى .

(٣) وهى السنة التى ماتت فيها السيدة ميمونة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم سيرة ابن الجوزى ص ٥ .

(٤) عن وهيب بن الورد قال : بينا نحن خلف المقام إذ رأيت كأن داخلا من بابه شيبة وهو =

وقال آدم بن إياس : ثنى أبو على ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه ، فضربه فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول :

إن كنت أشج بنى أمية أنك إذا لسعيد[1] . رواه الحافظ ابن عساكر ، من طريق هارون بن معروف عن ضمرة .

وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن اسماعيل ، عن أبى قبيل ، أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير[2] ، فبلغ أمه ، فأرسلت إليه ، فقالت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت . . . فبكت أمه .

وكان قد جمع القرآن وهو صغير .

وقال الضحاك بن عثمان الحزامى : كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان[3]

= يقول : يا أيها الناس ، ولى عليكم كتاب الله . فقلت من ؟ فأشار إلى ظفره، وإذا مكتوب عليه: ع م ر ، فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . أنظر ابن الجوزى ص ٢٥٠ .

وفى سيرة ابن عبدالحكم : «اتاكم العدل واللين» . وفى نهاية الخبر : « فاستخلف عمر فى يوم تلك الليلة » ، ص ٣٣ .

قال النووى : « وأجمعوا على فضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله ، وشفقته على المسلمين ، وحسن سيرته فيهم ، وبذل وسعه فى الإجتهاد فى طاعة الله وحرصه على أتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين ، وهو أحد الخلفاء الراشدين ، وفضائله أكثر من أن تحصر » . ج ٢ ص ١٧ ، تهذيب الأسماء واللغات .

(١) عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا ؟ كما ملئت جوراً : انظر ابن الجوزى ، ص ٧ :

ويروى أن عمر بن عبد العزيز ركب حمارا فسقط عنه فشج (أى جرح) ، فضحك أخوه الأصبغ . فغضب أبوه عبد العزيز وقال : يسقط أخوك فيشج فتضحك سروراً بما أصابه ؟ فقال ليس ذلك كذلك أيها الأمير ، لم يضحكنى شماتة به ولا سرورا بسقوطه ، ولكنى كنت أرى العلامات من أشج بنى أمية مجتمعة فيه إلا الشجة ، فلما سقط وشج سرنى ذلك ، لتكامل العلامات فيه ، وهو والله أشج بنى أمية ، انظر ابن عبد الحكم ص ٢٠

(٢) عند ابن الجوزى : « وهو صغير قد جمع القرآن » ، ص ٩

(٣) هو أبو محمد ـ أو أبو الحارث ـ صالح بن كيسان المدنى ، مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز، ثقة ثبت فقيه ، مات بعد سنة ثلاثين ـ أو أربعين ـ ومئة . ومن هنا نفيد أنه كان مؤدبا لعمر أيضا .

يؤدبه ، فلما حج أبوه اجتاز به فى المدينة ، فسأله عنه فقال : ما خبرت أحداً الله أعظم فى صدره من هذا الغلام .

وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً ، فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت مرجلتى تسكن شعرى . فقال له : قدمت ذلك على الصلاة ؟ ! . وكتب إلى أبيه — وهو على مصر — يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا ، فلم يكلمه حتى حلق شعره .

وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه ، وقام يصلى فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مغضباً ، وقال له :

متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ . قال : ففهمها عمر ، وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود . . . قال : فما سمع بعد ذلك يذكر عليا إلا بخير[1] . . .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : حدثنا أبى ، حدثنا المفضل بن عبد الله عن داود بن أبى هند ، قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب — وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبى صلى الله عليه وسلم — فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير بسيرة عمر بن الخطاب .

---

(١) رواية ابن الجوزى : أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان ستعاهده ، وكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، وكان صالح بن كيسان يلزمه الصلاة ، فأبطأ يوما عن الصلاة ، فقال : ماحبسك ؟ قال : كانت مرجلتى تسكن شعرى : فقال : بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟ ، وكتب إلى عبد العزيز بذلك ، فبعث إليه عبد العزيز رسولا فلم يكلمه حتى حلق شعره ، ص ٩

(١) ومن أمثلة ذلك مارواه حسين بن صالح قال : تذاكر والزهاد عند بن عبد العزيز ، فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب عليه السلام . أنظر بن الجوزى ، ص ٢٣٨ .

قال داود : مر الله مامات حتى رأينا ذلك فيه[١] ! ...

وقال الزبير بن بكار : حدثنى العتبي قال : إن أول ما استبين من رشد عمر ابن عبد العزيز حرصه على العلم ؛ ورغبته فى الأدب[٢] ... إن أباه ولى مصر وهو حديث السن يشك فى بلوغه[٣] فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام . فقال : يا أبت ، أو غير ذلك لعله يكون أنفع لى ولك ؟ . قال : وما هو ؟ . قال : ترحلنى إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهائها ، وأتأدب بآدابهم ! . .

فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعد مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فخلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة[٤] ، وهى التى يقول الشاعر فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف ، والخليفة زوجها

---

(١) عن ميمون بن مهران أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج إلينا : فإذا نحن عنده تلامذة وقال : حدثنا عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال سفيان : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة . أنظر بن الجوزى ، ٢٧ .

وعن مجاهد : أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه سيحتاج إلينا فما خرجنا من عنده حتى أصبحنا إليه . أنظر تهذيب الأسماء للنووى ، ج ٢ ص ٢٣ .

وكان عمر مثال الطاعة والاحترام لمؤدبه ، جاء فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة « قال عمر بن العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتى أياك وأنت تؤدبنى ؟ . قال : أحسن طاعة : فأعطنى الآن كما كنت أعطيك ، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ، ومن ثوبك حتى يبدو عقباك » . أنظر المجلد الأول ، ص ٣٠١ .

(٢) قال عمر بن عبد العزيز : لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسى إلى العلم ، إلى العربية ، فالشعر فأصبت منه حاجتى . وقال : كنت أصحب من الناس سراتهم ، وأطلب من العلم شريفه » ، فلما وليت أمر الناس أحتجت إلى أن أعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديئه وسفسافه . أنظر ابن الجوزى ، ص ١٣ .

(٣) المقصود بهذا عمر بن عبد العزيز .

(٤) قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ، فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة . فأعجب به عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك : هذا كلام تعلمه فأداه . فدخل على عبد الملك يوماً فقال : يا عمر كيف نفقتك ؟ قال : الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين . قال : فما هما ؟ قال : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » فقال عبد الملك لأولاده : من علمه هذا ؟ أنظر بن الجوزى ، ص ٢٧ .

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابعيه في النعمة ، والاختيال في المشية[١] ، وقد قال الأحنف بن قيس : الكامل من عدت هفواته ، ولا تعهد إلا من قلة .

وقد ورث عمر عن أبيه من الأموال والمتاع والدواب — هو وإخوته — ما لم يرثه غيره فيما نعلم ، كما تقدم ذلك[٢] .

ودخل يوما على عمه عبد الملك وهو يتجانف في مشيته[٣] ، فقال : ياعمر ، ما بالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحا . فقال : وأين هو من جسدك ؟ قال : بين الرانفة والصفن — يعني بين طرف الإلية وجلدة الخصية — فقال عبد الملك لروح بن زنباع : بالله ، لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل هذا الجواب !! . . .

قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ، ولبس المسوح[٤] تحت ثيابه سبعين يوما ، ولما ولي الوليد عامله بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف ، من سنة ست وثمانين[٥] إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس

---

(١) كان عمر قبل الخلافة من أعظم الأمويين ترفها وأنعما ، تعصف ريحه فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيه ، ويمشي مشية تسمى « العمرية » ، فكان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها ، وترك هذا التنعم بعد الخلافة ، إذ زهد في الدنيا ورفضها . أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٢١ . وانظر بن الجوزي ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٢) أنظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٩ ص ٥٨ .

(٣) يتجانف في مشيته : يميل في سيره من وجع أو ألم .

(٤) ثياب خشنة .

(٥) في سيرة ابن الجوزي أن عمر بن عبد العزيز ولي المدينة في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وهو ابن خمس وعشرين سنة .

ويروى أن الوليد لما ولاه أبطأ عن الخروج فسأل الوليد عن ذلك ، فقال له حاجبه : زعم عمر أن له إليك ثلاث حوائج . قال : فعجله علي . فجاء به الوليد فقال له عمر : إنك استعملت من كان قبلي ، فأنا أحب ألا تأخذني بعمل أهل العدوان والظلم والجور . فقال الوليد : إعمل بالحق وان لم ترفع إلينا إلا درهما واحدا فقال : والحج ، قد بلغت ما ترى من السن والحال ؛ قال الراوي : وأشك في العطاء أن يكون سأله إياه ، أن يخرجه للناس . أنظر ص ٣٢ و٣٣ .

الحج سنة تسع وثمانين، وسنة تسعين، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

وبنى فى مدة ولايته هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ووسعه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان فى هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة .

كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً[1] بدونهم ، أو من حضر منهم ، وهم : عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت[2] .

وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيب ، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتى أحداً من الخلفاء وكان يأتى إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة[3] .

وقال إبراهيم بن عبلة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأى .

وقال ابن وهب : حدثنى الليث ، حدثنى قادم البربرى أنه ذاكر ربيعة بن أبى عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز — إذ كان بالمدينة —

---

(١) أى لا يفصل فى أمر هام .

(٢) وقال لهم : « انى دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، أن رأيتم أحداً يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة ، فأحرج (أقسم) بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغنى » انظر ابن الجوزى ، ص ٣٢ .

(٣) روى عمر عن سعيد بن المسيب . انظر ابن الجوزى ، ص ١٧ . وأرسل عمر بن عبد العزيز فى ولايته على المدينة رسولا إلى سعيد بن المسيب يسأله عن مسألة ، وكان سعيد لا يأتى أميراً ولا خليفة ، فأخطأ الرسول فقال له : الأمير يدعوك ، فأخذ نعليه وقام إليه من وقته ، فلما رآه عمر قال له : عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك ، حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا ، فأنا لم نرسله ليدعوك ، ولكنه أخطأ ، إنما أرسلناه ليسألك ، ولم ير سعيد أنه يسعه التخلف عنه ، انظر ابن الحكم ، ص ٢٠٢

فقال له ربيعة : كأنك تقول : أخطأ ، والذى نفسى بيده ما أخطأ قط[١] ! .

وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك ، قال : ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى - يعنى عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة .

قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود . وفى رواية صحيحة أنه كان يسبح فى الركوع والسجود عشراً عشراً[٢] .

وقال ابن وهب : حدثنى الليث ، عن أبى النضر المدينى ، قال : رأيت سليمان بن يسار[٣] خارجا من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم . قلت : تعلمونه ؟ قال : نعم . فقلت : هو والله أعلمكم .

وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه ! .

وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ! .

وفى رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء ! . . .

وقال الليث[٤] : حدثنى رجل كان صحب ابن عمر و ابن عباس . وكان عمر ابن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة — قال ما التمسنا علم شىء إلا وجدنا عمر

---

(١) عن يحيى بن سعيد وربيعة بن أبى عبد الرحمن قالا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : مامن طينة أهون على فتا ، ولا من كتاباً دون على ردا من كتاب قضيت به ، ثم أبصرت أنه الحق فى غيره . ففتها . انظر ابن الجوزى ، ص ٧٥ :

(٢) عن أنس بن مالك : ما رأيت أماما أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمامكم هذا — لعمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة يومئذ ، وكان عمر لا يطيل القراءة ، انظر ابن الجوزى . ص ٢٦ : وانظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٩

(٣) هو أبو أيوب — ويقال أبو عبد الرحمن وأبو عبد الله — سليمان بن يسار الهلالى المدنى أحد الفقهاء السبعة ، مولى ميمونة بنت الحارث ، وقيل مولى أم سلمة ، سمع الكثيرين من الصحابة والتابعين ، روى عنه كثير من التابعين ، كان ثقة عالما رفيعاً فقيها فاضلا عابدا كثير العلم ، توفى سنة ثلاث — أو تسع ، ومائة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة

(٤) هو الإمام المشهور أبو الحجاج مجاهد بن جبير المكى المخزومى التابعى المتفق على جلالته وأمامته ، سمع كثيرا من الصحابة والتابعين ، وروى عنه كثير من التابعين ، وعرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وهو أمام فى الفقه والتفسير والحديث . ومناقبه كثيرة ، توفى سنة احدى ومئة ، وقيل غير ذلك

ابن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذه .

وقال عبد الله بن كاووس[١] : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ! . فلما افترقا قلت : ياأبت ، من هذا الرجل ؟. قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحي هذا البيت — يعني بني أمية .

وقال عبد الله بن كثير : قلت لعمر بن عبد العز : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي ، فقال لي : أذكر ليلة صبحتها يوم القيامة !..

وقال الإمام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة — يعني في سنة ثلاث وتسعين — وخرج منها التفت إليها وبكى ، وقال لمولاه : يامزاحمة نخشى أن نكون ممن نفت المدينة — يعني أن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد — وينصع طيبها[٢] .

قلت : خرج من المدينة ، فنزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً ، ثم قدم دمشق على بني عمه .

قال محمد بن إسحق[٢] : عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني ، فلما قدمت الشام نسيت .

---

(١) عبد الله بن طاووس ثقة فاضل عابد ، مات سنة ثنتين ومائة . وأبوه هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني التابعي ، من كبار العلماء والفضلاء الصالحين ، واتفقوا على جلالته وعلمه وحفظه وصلاحه ، توفي بمكة في سابع ذي الحجة سنة ست ومئة ، وكان له بضع وسبعون سنة .

(٢) عند ابن الجوزي : « وقال حدثنا عبد الله بن كثير قال : قيل لعمر ... » إلخ ، ١٤٩. وعبد الله بن كثير هو أحد القراء السبعة أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي ، كان ثقة وله أحاديث صالحة ، توفي بمكة سنة ثنتين وعشرين ومائة . والإنابة : الرجوع الى الله بالتوبة .

(٣) في النهاية لابن الأثير جاء الحديث : « المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها » والكير : هو الزق الذي تنفخ فيه النار . وتنصع طيبها : تخلصه . وفي رواية : ينصع طيبها ، أي يظهر . وفي التاج الجامع للأصول : « إن المدينة كالكير ، تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكير خبث الحديد » رواه مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر عن الزهرى قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثنا ، فقال كل ماحدثت فقط سمعته ، ولكن حفظت ونسيت[1] .

وقال ابن وهب عن الليث عن عقيل عن الزهرى قال : قال عمر بن عبد العزيز : بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن أجلس فجلست ، فقال : ماتقول فيمن يسب الخلفاء ، أيقتل ، ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل ياأمير المؤمنين ؟ . قال لا ، ولكن سب . فقلت : ينكل به ، فغضب وانصرف إلى أهله .

وقال ابن الريان[2] السياف : اذهب . قال : فخرجت من عنده ، وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردنى إليه ! !

وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك — وهو أمير المؤمنين — ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال . فقال سليمان : ما تقول يا عمر فى هذا ؟ . فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، وأنت المسئول عن ذلك كله[3] !.

---

(١) وفى رواية أن عمر قال لابن شهاب الزهرى : ما أعلمك تعرض على شيئا إلا شيئا قد مر على مسامعى ، إلا أنك أوعى له منى ، ابن الجوزى ، ص ٢٨ . والزهرى هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى الذى قال فيه الليث : ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علما منه ومناقبه كثيرة ، وتوفى فى رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، راجع ترجمته فى تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ٩٠ .

(٢) هو خالد بن الريان سياف الوليد وصاحب حرس سليمان ، والقصة مروية عند ابن الجوزى ، ص ٤٠ ، وعند ابن عبد الحكم ، ص ٢٥ ، وفى روايتهما بسط قليل .

وعند ابن الجوزى أن مثل هذه الحادثة مع سليمان بن عبد الملك فى شأن رجل من الحرورية شتم سليمان ، فقال عمر لسليمان : أرى عليه أن تشتمه كما شتمه . ولكن سليمان أمر بضرب عنق الحرورى . وقام سليمان ، وقال ابن الريان لعمر : تقول لأمير المؤمنين : ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ، والله لقد كنت متوقعا أن يأمرنى بضرب عنقك . قال عمر : لو أمرت لفعلت؟ قال : اى والله لو أمرنى لفعلت ، فلما تولى الخلافة استدعى ابن الريان وعزله عن الحرس وقال له : يا خالد ، ضع هذا السيف عنك . اللهم إنى قد وضعت لك خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبدا . وولى على الحرس عمر بن مهاجر الإنصارى أنظر ص ٣٩ .

(٣) حدث هذا عقبة عفان ، فى رجوع سليمان من الحج ومعه عمر . وفى رواية قال عمر : «أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، أنت المسئول عنها ، والمأخوذ بما فيها» . أنظر ابن الجوزى، ص ٤١ .

فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة فى فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، ونعب نعبة ، فقال له سليمان : ماهذا ياعمر ؟ فقال : لا أدرى ! . فقال: ماظنك أنه يقول ؟ . قلت : كأنه يقول : من أين جاءت ؟ وأين يذهب بها ؟ . فقال له سليمان : ما أعجبك ؟ ، فقال عمر : أعجب ممن عرف الله فعصاه ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها[١].

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بعرفة ، ورأى سليمان كثرة الناس ، فقال له عمر : هؤلاء رعيتك اليوم ، وأنت مسئول عنهم غدا — وفى رواية : وهم خصماؤك يوم القيامة — فبكى سليمان وقال : بالله نستعين .

وتقدم[٢] أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر ، فقال له : أتضحك ؟ . فقال : نعم ، هذه آثار رحمته ونحن فى هذه الحال ، فكيف بآثار غضبه وعقابه ونحن فى تلك الحال ؟[٣] .

وذكر الإمام مالك أن سليمان وعمر تقاولا مرة ، فقال له سليمان فى جملة الكلام : كذبت ! . فقال : تقول كذبت ؟ ! والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ! . . ثم هجره عمر ، وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه ، وقال له : ما عرض لى أمر يهمنى إلا خطرت على بالى[٤] . . .

---

(١) نعب نعبة : النعيب صوت الغراب وفى رواية ابن الجوزى : فقال سليمان : ما ترى هذا هذا الغراب يقول ؟ قال : أظنه يقول : من أين دخلت هذه الكسرة ؟ وكيف خرجت ؟ قال : إنك لتجىء بالعجب ياعمر » ص ٤١ .

(٢) انتظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ١٨٩ .

(٣) وفى رواية أن عمر قال : « هذا عند نزول رحمته ، فكيف لو كان عند نزول نقمته » وفى رواية : « ياأمير المؤمنين ، هذه رحمة الله قد أفزعتك ، كيف لوجاءك عذابه » ؟ . وفى رواية : « هذه جاءت برحمته ، كيف لو جاءت بسخطه » ، وفى رواية : « ياأمير المؤمنين ، إنما هذا صوت نعمة ، فكيف لوسمعت صوت عذاب » ، بن الجوزى ، ص ٤١ و ٤٢ . وانظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٦ .

(٤) فى رواية : خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان يريد الصائفة ، فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان ، فشكوا ذلك إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضرب غلمانك غلمانى . قال عمر : ما علمت . فقال له سليمان : كذبت . قال : =

وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن العزيز، فانتظام الأمر على ذلك ، ولله الحمد .

فصل

وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، ثنا عبد الله بن دينار ، قال : قال ابن عمر : يا عجبا ، يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر .

قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر[1] قال : وكان بوجهه أثر ، فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب .

وقال البيهقي : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو حامد بن علي المقرى ، ثنا أبو عيسى الترمذي ، ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا عفان ، ثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع ، قال . بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدي رجلا بوجهه شجان ، يلي فيملأ الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز .

ورواه مبارك بن فضالة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، وقال : كان ابن عمر يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟ .

قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني

= ما كذبت مذ شددت على إزاري، وعلمت أن الكذب يضر أهله ، وإن في الأرض عن مجلسك هذا السعة . فتجهز يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان فشق عليه ، فدخلت فيما بينهما عمة لهما ، فقال لها سليمان : قولي له يدخل علي ولا يعاتبني . فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه سليمان وقال له : يا أبا حفص ، ما اغتممت بأمر ، ولا أكربني أمر إلا خطرت فيه على بالي . فأقام . أنظر ابن عبد الحكم ، ص ٢٣ . وقريب من هذا عند ابن الجوزي ، ص ٣٦ .

(١) هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، ثقة .

شيبة وهو يقول : يا أيها الناس ، ولى عليكم كتاب الله ، فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفره ، فإذا مكتوب عليه : ع م ر . قال : فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز .

وقال بقية عن عيسى بن أبى رزين : حدثنى الخزاعى عن عمر بن عبدالعزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى روضة خضراء ، فقال له : « إنك ستلى أمر أمتى ، فزع عن الدم ، فزع عن الدم ، فإن اسمك فى الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر[1] » .

وقال أبو بكر بن المقرى : ثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحرانى ، ثنا أيوب بن محمد الوزان ، ثنا ضمرة بن ربيعة ، ثنا السرى بن يحيى ، عن رباح بن عبيدة[2] ، قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة ، وشيخ متوكئ على يده ، فقلت فى نفسى : إن هذا الشيخ جاف ، فلما صلى ودخل لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذى اتكأته يدك ؟ . فقال : يا رباح ، أرأيته ؟ ، قلت : نعم . قال : ما أحسبك يا رباح إلا رجلا صالحاً ، ذاك أخى الخضر . أتانى فأعلمنى أنى سألى أمر هذه الأمة ، وأنى سأعدل فيها[3] . .

---

(١) روى ابن الجوزى نفس الخبر فى سيرته ، ص ٢٤٩ . وزع فعل أمر من وزع بمعنى كف . وفى النهاية لابن الأثير : « من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن » ، أى من يكف عن ارتكاب المظالم مخافة السلطان أكثر ممن يكفه مخافة القرآن والله تعالى » . والوزعة جمع وازع وهو الذى يكف الناس عن الإقدام على الشر وفى حديث الحسن لما ولى القضاء قال : لابد للناس من وزعة ، أى من يكف بعضهم عن بعض ، يعنى السلطان وأصحابه .

(٢) هو رباح بن عبيدة الباهلى الكوفى . سكن الحجاز ، وهو ثقة ، وكان من العباد ، وكان من خواص عمر بن عبد العزيز ، ومن جلسائه .

(٣) ذكر ابن الجوزى أربع روايات لهذه الحادثة ، وهى كلها تذكر إسم رباح بن عبيدة ، أنظر ص ٤٣ و ٤٤ ولكن ابن عبد الحكم ينسب القصة إلى مزاحم ، يقول :

وخرج ذات ليلة يعنى عمر على مركب يسير وحده ، وتبعه مزاحم ، فتقدم عمر وتأخر مزاحم ، فنظر مزاحم فإذا هو برجل يساير عمر ، وعهده به وحده ، وقد وضع لذو دالة عليه . فحركت للحوق به فأدركته ، فإذا هو وحده لا أرى معه أحدا غيره ، فقلت له : رأيت معك رجلا آنفا قد وضع يده على عاتقك وهو يسايرك فقلت فى نفسى : من هذا ؟ إن هذا لذو دالة عليه . فلحقتكما فلم أر أحدا غيرك . فقال عمر : أو قد رأيته يا مزاحم ؟ قال نعم . قال : إنى لأحسبك رجلا صالحا ذاك يا مزاحم الخضر ، أعلمنى إنى سألى هذا الأمر وأعان عليه . أنظر ص ٢٨ و ٢٩ .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمر ، ثنا ضمرة ، عن على بن خولة ، عن أبى عنبس ، قال : كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية[١] ، فجاء شاب عليه مقطعات ، فأخذ بيد خالد ، فقال: هل علينا من عين ؟ . فقال أبو عنبس: فقلت عليكما من الله عين بصيرة ، وأذن سميعة . قال : فترقرقت عينا الفتى ، فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ . قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخى أمير المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى .

قلت : كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شىء جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر فى النجوم والطب[٢] .

وقد ذكرنا فى ترجمة سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يعهد إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة[٣] عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده ، وصوب ذلك رجاء ، فكتب سليمان العهد فى صحيفة وختمها ، ولم يشعر بذلك عمر ، ولا أحد من بنى مروان سوى سليمان ورجاء .

ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الأمراء ورءوس الناس من بنى مروان وغيرهم ، فبايعوا ثانية قبل أن يعلموا موت الخليفة ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوه فأجلسوه على المنبر ، وبايعوه فانعقدت له البيعة[٤] .

---

(١) ذكر ابن الجوزى أن هذا الموقف كان مسجد بيت المقدس ، وقصة بعبارة مما هنا . أنظر ص ٦١ .

(٢) هو أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى الدمشقى ، صدوق ، مذكور بالعلم ، توفى سنة تسعين ومئة .

(٣) هو أبو المقدام — أو أبو نصر — رجاء بن حيوة بن جندول الكندى الشامى الفلسطينى التابعى الإمام ، روى عن كثير من الصحابة وخلائق من التابعين ، وروى عنه جماعات من التابعين ، وكان ثقة عالما فاضلا . وقال مكحول . رجاء شيخنا وسيدنا وسيد أهل الشام . وكان قاضيا ، ومناقبه كثيرة ، وتوفى سنة ثلث عشرة ومئة .

(٤) فصل ابن الجوزى الحديث عن ذلك ، أنظر ص٤٦ الى ص٥٨ . وأنظر ابن عبد الحكم ص ٢٩ وما بعدها .

وقد اختلف العلماء فى مثل هذا الصنيع : فى الرجل يوصى الوصية فى كتاب، ويشهد على ما فيه ، من غير أن يقرأ على الشهود ، ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم . قال القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريرى : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ، وروى ذلك عن سالم بن عبد الله ، وهو مذهب مالك ، ومحمد بن مسلمة المخزومى ، ومكحول ونمير بن أوس ، وزرعة بن إبراهيم ، والأوزاعى ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . . .

وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه وقضاة جنوة ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاتهم ، وروى عن قتادة ، وعن سوار بن عبد الله ، وعبيد الله بن الحسن ، ومعاذ العنبرى فيمن سلك سبلهم .

وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد ، اسحاب بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخارى فى صحيحه .

قال المعافى : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم إبراهيم ، وحماد ، والحسن ، وهو مذهب الشافعى ، وأبى ثور . قال : وهو قول شيخنا أبى جعفر . وكان بعض أصحاب الشافعى بالعراق يذهب إلى القول الأول . قال الجريرى : وإلى القول الأول نذهب .

وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمراكب الخلافة ليركبها ، فامتنع من ذلك وأنشأ يقول :

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبا كل زاجر
قضى ماقضى فيما مضى ، ثم لاترى له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ثم قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا إلى بغلتى ! . . ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفية فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المثمنة ، فباعها وجعل أثمانها فى بيت المال .

قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له موره : مالك هذا مغتما مهموماً ، وليس هذا بوقت هذا ؟

فقال : ويحك ! ومالى لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبنى بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى فى ذلك أو لم يكتب ، طلبه منى أو لم يطلب ؟! . . .[1]

قالوا : ثم أنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكى جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة فى داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله .

وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شـــغل شــــاغل وعدلت عن طريق السلامة
ذهب الفـــراغ فلا فـــرا غ لنـا إلى يوم القيـــامة ![2]

وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن سلام، عن سلام بن سليم ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها أحمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس ، من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فليفارقنا : يرفع إلينا حاجة من لا تستطيع رفعها . ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على

---

(١) عن سفيان بن عيينة : كان أول ما رئى من عمر بن عبد العزيز أنه قدم إليه برذون سليمان بن عبد الملك ، فأبى وركب بغلته ، وقال : ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا له عندى ، شرقها وغربها .

وفى رواية أنه لما عاد من دفن سليمان ورفض مراكب الخليفة قال له مولاه : يا أمير المؤمنين كأنك مهتم . فقال : لمثل هذا الأمر الذى نزل بى اهتممت ، أنه ليس من أمة محمد فى مشرق ولا مغرب أحد إلا له قبلى حق يحق على أداؤه ، غير كاتب إلى فيه ، ولا طالبه منى . أنظر ابن الجوزى ، ص ٥٢ . وكذلك ابن عبد الحكم ص ٣٥ .

(٢) روى هذا الخبر مسعود بن بشر . أنظر ابن الجوزى ، ص ٢٣ .

مالا نهتدى إليه ، ولا يغتابن عندنا أحداً ، ولا يعرض فيما لا يعنيه[١] .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخلف فعله قوله .

وقال سفيان بن عيينة . لما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة ؛ وسالم بن عبد الله ، فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بى ، فما عندكم ؟ .

فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أباً ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبر أباك ، وصل أخاك ، وتعطف على ولدك .

وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تاته إليهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت .

وقال سالم : اجعل الأمر واحدا ، وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت ، فكأن قد ! . . .

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله[٢] .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس ، فقال — وقد خنقته العبرة : أيها الناس ، أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، واصلحوا سرائركم

---

(١) روى ابن الجوزى الخطبة هكذا : « يا أيها الناس ، من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا ، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدى إليه ولا يغتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » . ص ١٩٦ .

(٢) فى رواية أن محمد بن كعب قال لعمر : « لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته . فإذا انقطعت حاجته انقطعت أسباب مودته ، أصحب من الأخيار ذا العلى فى الخير ، والأناة فى الحق ، يعينك على نفسك . ويكفيك مئونته » .

وفى رواية أنه قال له « كن لصغير المسلمين أبا ، ولكبيرهم ابنا ، والمثل منهم أخا ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم ، على قدر أجسامهم ، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتتعدى ؟ فتكون عند الله من العادين » .

أنظر ابن الجوزى ص ١٠ ، وأنظر كذلك ص ١٣٣ ففيها نسب كلام رجاء الى محمد ابن كعب

يصلح لكم علانيتكم ، والله أن عبدا ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات أنه لمعرق له فى الموت[1] .

وقال فى بعض خطبه :

كم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا يرحمكم الله — من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم فى الدنيا ينافس قرير العين فيها يانع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حتفه ، فسلبه آثارة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه .

أن الدنيا لا تسر بقدر ما تغير ، لا تسر قليلا وتحزن طويلا[1] .

وقال اسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، أنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإنى لست بقاض ولكنى منفذ ، وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، أن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم ، إلا أن الامام الظالم هو العاصى ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصيه الخالق عز وجل .

---

(١) روى هذه الخطبة السرى بن يحيى . كما رويت الخطبة بصيغة أخرى عن عبيد الله بن الفضل قال : خطبنا عمر بالشام على منبر من طين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بكلمات ثلاث فقال : « يا أيها الناس ، أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، وأعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق له فى الموت ، والسلام عليكم » . انظر ابن الجوزى ، ص ٢١٧ .

ومعرق له : أى أن له فى الموت عرقا ، وأنه أصيل فى الموت .

(٢) رويت هذه الخطبة بصيغة أخرى عن عمر بن محمد المكى ، قال : خطب عمر بن عبدالعزيز فقال : « ان الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء . وكتب على أهلها منها الظعن فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى . انما الدنيا كفىء ظلال قلص ، بينا ابن آدم فى الدنيا منافس ، وبها قرير عين ، اذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر . انها تسر قليلا ، وتجر حزناً طويلا » .

انظر ابن الجوزى ، ص ١٩٧ .

والظعن : الرحيل ، والاثارة : البقية . والحتف : الهلاك .

وفى رواية أنه قال فيها : وإنى لست بخير من أحد منكم ، ولكنى أثقلكم حملا ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، ألا هل أسمعت[1] ؟ .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الحلوانى ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا إسحق بن سليمان ، عن شعيب بن صفوان ، حدثنى ابن السعيد بن العاص قال :

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وأن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانيا بباق ، ونافذا بما لا نفادله ، وقليلا بكثير وخوفا بأمان ؟ . . . ألا ترون أنكم فى أسلوب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبه ، حتى تغيبوه فى صدع من الأرض ، فى بطن صدع غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتهن بعمله ، غنى عما ترك ، فقير لما قدم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إنى أقول هذا[2] .

---

(١) رويت هـــذه الخطبة بصيغة أوسع عن محمد بن يزيد قال قال وهيب : خطب عمر بن عبد العزيز ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « إن الله عز وجل لم يبعث نبيا بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل كتاباً بعد كتابه الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم . ألا وإن كل ما أنزل الله على نبيه محمد فهو الحق إلى يوم القيامة ، ألا إنى لست بمبتدع ، ولـكنى متبع ، ألا وإنى لست بخيركم ، ولـكنى أثقلكم حملا . ألا وإن السمع والطاعة للمخلوق واجبان على كل مسلم ، مالم يؤثر بمعصية ، فلا طاعة للمخلوق بمعصية الخالق . ألا هل أسمعت » ؟ قالها ثلاثا . انظر ابن الجوزى ، ص ١٩٨ . وانظر أيضاً ابن عبد الحكم ، ص ٣٨ و ٣٩ فقد أورد روايتين أخريين للخطبة .

(٢) يروى أنه قال بعد هذا : « وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفر الله ، وما منـكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له . عندنا إلا حرصنا أن نسد من حاجته ما استطعنا وما منـكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له . عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بى وبخاصتى حتى يكون عيشنا وعيشه سواء ، أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لـكان اللسان به ذلولا ، وكنت بأسبابه عالماً ، ولـكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته » . انظر ابن الجوزى ص ٢٢٣ ، وهناك روايات أخرى للخطبة .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله .

وفى رواية : وايم الله إنى لا قوم قولى هذا ، ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ، ولكنها سنن من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ونها فيها عن معصيته ، واستغفر الله .

ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بل لحيته ، فما عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : إدن ياعمر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فاعمل نحوا من عمل هذين ، فإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقلت ومن هذان ؟ . ال : هذا أبو بكر ، وهذا عمر[١] .

وروينا أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر اكتب لى سيرة عمر حتى أعمل بها . فقال له سالم : أنك لا تستطيع ذلك . قال : ولم ؟ . أنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجد على الخير أعوانا ، وأنت لا تجد من يعينك على الخير[٢] .

وروى أنه كان نقش خاتمه : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وفى رواية : آمنت بالله . وفى رواية : الوفاء عزيز[٣] .

---

(١) ورد هذا الخبر فى سيرة بن الجوزى ، ص ٢٤٧ .

(٢) دكر ابن الجوزى خطاب عمر الى سالم ورد سالم عليه ، أنظر من ص ١٢٧ الى ص١٣٣ فهناك أكثر من رواية ، وفى آخر رد سالم يقول : كتبت الى تسألنى أن أبعث اليك بكتب عمر وبقضائه فى أهل القبلة وفى أهل العهد ، وأن عمر رضى الله عنه عمل فى غير زمانك ، وعمل بغير رجالك . وإنك إن عملت فى زمانك على النحو الذى عمل عمر بن الخطاب ، فقل كما قال العبد الصالح : (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) ص ١٢٩ . وانظر أيضاً ابن عبدالحكم ص ١٢٥ .

(٣) عند ابن الجوزى : « حدثنا الحكم بن عمر وقال : رأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة وفصه من فضة مربع . قال حدثنا الضحاك بن زمل قال . كان نقش خاتم عمر بن عبدالعزيز (لكل عمل ثواب) . قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن مهاجر قهرمان عمر بن عبدالعزيز قال . كان خاتم عمر بن عبد العزيز (الوفاء) ص ١٤٨ .

وقد جمع يوماً رءوس الناس فخطبهم فقال :

إن فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعها حيث أراه الله ، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك . قال الأصمعي : وما أدري ماذا قال في عثمان . قال : ثم إن مروان أقطعها . فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أرده أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم . ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال ، وسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان[2]، فلم ينجح فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني ، وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به . قال : والله لو أقمت فيكم خمسين عاما ما أقمت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

---

(١) كانت فدك قرية بخيبر ، وكانت فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لابن السبيل فسألته ابنته إياها فأبى الرسول ، فولى أبو بكر فسلك مسلك النبي ، ثم عمر ثم عثمان كذلك ، فلما جاء معاوية طالبها منه مروان ، فأعطاه إياها ، فكان يبيع تمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم ، ثم نزعها من يده فكانت بيد وكيله بالمدينة ، ثم ولى مروان المدينة المرة الأخيرة فأعطى عبد الملك نصفها ، وعبد العزيز نصفها ، فوهب عبد العزيز حقه لولده عمر ، ولما توفى عبد الملك طلب عمر إلى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب إلى سليمان حقه فوهبه له ، ثم وهب له الباقون حقوقهم ، فولى عمر الخلافة وما يقوم به وبعيله الاهى ، وهى تغل كل سنة عشرة آلاف ، أو نحوها ، فلما علم حقيقة أمرها كتب آلف ابن حزم يقول :

« إنى نظرت فى أمر فدك فإذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان ، فاقبضها وولها رجلا يقوم فيها بالحق ، والسلام عليك » .

انظر ابن الجوزى ، ص ١٠٩ وانظر كذلك عبد الحكم ص ٦٠ .

(٢) دخلت عليه فقالت : أن قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك ، قال : مامنعتهم حقا أو شيئا كان لهم . فقالت : انى رأيتهم يتكلمون وانى أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره . ودعا بدينار ومجموعة ، ووضع الدينار على النار ونفخ حتى احمر ، وقال لها ألا تخافين على ابن أخيك من مثل هذا ؟ فخرجت وأخبرت القوم بما أيأسهم من الطمع عنده . انظر ابن الجوزى ، ص ١١٧ . وانظر أيضا ابن عبد الحكم ، ص ١٢٦ . وص ١٥٢ إلى ص ١٥٦ .

وقال الإمام أحمد ، عن عبد الرازق عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : إن كان فى هذه الأمة مهدى فهو عمر بن عبد العزيز .

ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد .

وقال طاووس : هو مهدى وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدى ثبت على المسيء من إساءته وزيد المحسن فى احسانه ، سمح بالمال ، شديد على العمال ، رحيم بالمساكين .

وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران . فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر الآخر ؟ . قال : يوشك إن عشت أن تعرفه — يريد عمر بن عبد العزيز[١] .

وفى رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بنى مروان[٢] .

وقال عباد السماك — وكان يجالس سفيان الثورى — سمعت الثورى يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز[٣] .

وهكذا ردى عن أبى بكر بن عياش والشافعى وغير واحد .

وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

وذكره غير واحد فى الأئمة الاثنى عشر الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش[٤] » .

---

(١) أنظر ابن الجوزى ، ص ٥٩ و ٦٠ و ٦١ ، فقد ساق روايات كثيرة فى هذا الباب .

(٢) مضى كلام فى هذا الموضوع ، ص . من هذا الكتاب .

(٣) وبقية القول : « من قال غير هذا فقد اعتدى » أنظر ابن الجوزى ، ص ٦٠ .

(٤) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . لا يزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة ، ثم قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبى : ماقال ؟ . قال : كلهم قريش . رواه الشيخان والترمذى . ورواه أبو داود بلفظ : « لايزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجمع عليه الأمة » أنظر التاج ، ج ٣ ص ٤٠ .

وقد اجتهد رحمه الله فى مدة ولايته — مع قصرها — حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذى حق حقه ، وكان مناديه فى كل يوم ينادى : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ... حتى أغنى كلا من هؤلاء .

وقد اختلف العلماء أيهم أفضل : هو أو معاوية بن أبى سفيان ؟ ..

فضل بعضهم عمر لسيرته ومعدلته[1]، وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته[2] !! ..

وذكر ابن عساكر فى تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها ، إما بيعا أو هبة ، فكانت تأبى عليه ذلك ، فلما ولى الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها إليه ، ووهبتها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنها ، فتعرضت له فصدف عنها ، فقالت له :

يا سيدى ، فأين ما كان يظهر لى من محبتك إياى ؟ . فقال : والله إن محبتك لباقية كما هى ، ولكن لا حاجة لى فى النساء ، فقد جاءنى أمر شغلنى عنك وعن غيرك .

ثم سألها عن أصلها ، ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن أبى

---

(١) المعدلة والعدالة والعدولة العدل بمعنى واحد .

(٢) هكذا . . . ويلاحظ أن ابن كثير إذا ذكر معاوية أو عمرو بن العاص ترضى عليهما ، فيعقب اسم كل منهما بعبارة : « رضى الله عنه » أنظر مثلا كتابه الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ص ١٨ .

وفى ذكر ابن كثير قول هذا البعض أيضا فى كتابه (الباعث إلى معرفة علوم الحديث) ثم قال : « والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة ، لما أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز ، وبما نطقت به السنة النبوية فى المدح لهم فى جميع أخلاقهم وأفعالهم ، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رغبة فيما عند الله من الثوب الجزيل والجزاء الجميل وأما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع عن غير قصد ، كيوم الجمل ، ومنه ما كان عن اجتهاد ، كيوم صفين ، والاجتهاد يخطىء ويصيب ، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا وأما المصيب فله أجران اثنان ، وكان على وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ، رضى الله عنهم أجمعين . . . »

أنظر ص ٢١٩ وراجع مابعدها فقد تحدث عن أشياء تتصل بالمقام .

أصاب جناية ببلاد المغرب ، فصادره موسى بن نصير ، فأخذت فى الجناية ، وبعث بى إلى الوليد ، فوهبنى الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك[1] ، فأهدتنى إليك .

فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك . ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها[2] .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوما عليه وهو جالس فى مصلاه ، واضعاً خده على يده ، ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يافاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير ؛ والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فخشيت ألا يثبت لى خصومته ، فرحمت نفسى فبكيت[3] .

وقال ميمون بن مهران ، ولانى عمر بن عبد العزيز عمالة ، فقال لى : إذا جاءك كتاب منى على غير الحق فاضرب به الأرض[4] .

---

(١) وفى رواية قالت : كنت جارية من البربر ، حتى أتى حسان فهرب من موسى بن نصير ، فبعثنى إلى عبد الملك ، فوهبنى عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بى إليك ، فقال : كدنا والله نفتضح . فجهزها وأرسل بها إلى أهلها . أنظر أبن الجوزى ، ص ١٥٧ .

(٢) وفى رواية أن الحجاج بن يوسف أغرم عاملا كان له من أهل الكوفة مالا ، وكانت الجارية من رقيق ذلك العامل ، فأخذها الحجاج مع الرقيق والأموال وبعث بها إلى عبد الملك ، فوهب الجارية لابنته فاطمة ، فأهدتها إلى عمر ، فسألها عن سيدها فعلم أنه مات ، وأن ولده فى سوء وضنك ، فبعث عمر فأحضر الولد ورد إليه ماغرم أبوه ، ورد إليه الجارية . فقال الغلام : ياأمير المؤمنين ، هى لك . فقال عمر : لاحاجة لى فيها . قال : فابتعها منى . قال : لست إذن ممن ينهى النفس عن الهوى . فقالت الجارية : فأين موجدتك بى ياأمير المؤمنين ؟وأين حبك لى — فقال : أنها لعلى حالها ، ولقد ازدادت . فلم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات . أنظر أبن الجوزى ، ص ١٥٥ .

(٣) انظر ابن الجوزى ، ص ١٨٩ فقد ذكر هذا الخبر بصيغة أخرى .

(٤) كتب ميمون بن مهران إلى عمر يشتعفيه من الخراج ، فكتب إليه عمر : « يا ابن مهران ، إنى لم أكلفك بغياً فى حكمك ولا فى جبايتك ، فأجب ما جبيت من الحلال ، ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب » . انظر ابن الجوزى ، ص ٩٥ ، وكذلك انظر ص ٩٩ ، ففيها ما يقرب من هذا .

وكتب إلى بعض عماله : إذا دعتك قدرتك على الناس إلى مظلمة ، فاذكر قدرة الله عليك ، ونفاذ ما تأتى إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك .

وقال عبد الرحمن بن مهدى ، عن جرير بن حازم ، عن عيسى بن عاصم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى . إن للإسلام سننا وفرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش أبينها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت أمت فما أنا على صحبتكم بحريص . وذكره البخارى فى صحيحه تعليقا مجزوما به .

وذكر الصولى أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله ، فإنها هى التى لا يقبل الله غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها . وأن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

وقال : من علم أن كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه .

وكلمه رجل يوما حتى أغضبه ، فهم به عمر ، ثم مسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله منى غداً ؟ قم عافاك الله ، لا حاجة لنا فى مقاولتك[1] .

---

(١) انظر ابن الجوزى ، ص ١٧٨ . وروى ابن قتيبة (فى عيون الأخبار) ح ١ ص ٢٨٩ مايلى : «أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجد عليه ، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتك . وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه كراهة أن يعجل عليه فى اول غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ، انصرف رحمك الله » .

وفى ص ٢٩٠ : « وقال عمر بن عبد العزيز : متى أشفى غيظى ؟ أحين أقدر فيقال لى : لو عفوت ، أو حين أعجز فيقال لى : لو صبرت » ! .

وروى ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) ج ١ ص ٢٨٨ القصة التالية : « كلم عمر بن عبد العزيز رجلا من بنى أمية قد ولدته نساء بنى مرة ، فعاب عليه جفاء رآه منه ، فقال : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة ! . وبلغ ذلك عقيل بن علفة المرى ، وهو بجنفاء من المدينة على أميال فى بلد بنى مرة ، فركب حتى قدم على عمر وهو بدير سمعان ، فقال : هيه ياأمير المؤمنين ! بلغنى أنك غضبت على فتى من بنى أبيك فقلت : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة ، وإنى أقول : قبح الله ألأم طرفيه . فقال عمر : دع ويحك هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالى —

وكان يقول : أن أحب الأمور إلى الله القصد فى الجد ، والعفو فى المقدرة ، والرفق فى الولاية ، وما رفق عبد بعبد فى الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة .

وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان ، فشجه صبي منهم ، فاحتملوا الصبي الذى شج ابنه وجاءوا به إلى عمر ، فسمع الجلبة فخرج إليهم ، فإذا مرئية تقول : إنه إبنى ، وإنه يتيم فقال لها عمر : هونى عليك . ثم قال لها عمر : أله عطاء فى الديوان ؟ قالت : لا . قال : فاكتبوه فى الذرية . فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شج ابنك ؟ فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى إبنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتموه(١) .

وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أى زهد عندى ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة(٢) .

قالوا . ولم يكن له سوى قميص واحد ، فكان إذا غسلوه جلس فى المنزل حتى ييبس .

وقد وقف مرة على واعظ فقال له : ويحك ، عظنى . فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجرد من الدنيا ، فإنك إنما   خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد !

قال : وكان يعجبه ويكرره ، وعمل به حق العمل .

قالوا : ودخل على امرأته يوما فسألها أن تقرضه درهما أو فلوساً يشترى

— حاجة غير هذه وولى راجعاً من حيث جاء ، فقال عمر : ياسبحان الله ، من رأى مثل هذا الشيخ ؟ جاء من جنفاء ليس إلا يشتمنا ثم انصرف ! . فقال له رجل من بنى مرة : إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك ، وما شتم إلا نفسه ، نحن والله ألأم طريفة » !...

(١) انظر ابن الجوزى ، ص ١٧٦ .

(٢) وتناظر أبو سليمان الدرانى وأبو صفوان فى عمر بن عبد العزيز وأويس القرنى . فقال أبو سليمان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس . قال أبو صفوان : ولم ؟ . قال لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها . فقال أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل مافعل عمر . فقال أبو سليمان : لاتجعل من جرب كمن لم يجرب ، إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها فى قلبه موقع أفضل ممن لم تجر على يديه وإن لم يكن لها فى قلبه موضع . انظر ابن الجوزى ، ص ١٥٥ .

له بها عنبا ، فلم يجد عندها شيئا ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين ، وليس فى خزانتك ما تشترى به عنبا ؟... فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً فى نار جهنم .

قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فى رأسهن طين .

قالوا : وبعث يوما غلامه ليشوى له لحمة ، فجاء بها سريعا مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : فى المطبخ . فقال : فى مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . قال : كلها فإنى لم أرزقها ، هى رزقك ! .

وسخنوا له الماء فى المطبخ العام ، فرد بدل ذلك بدرهم حطبا .

وقالت زوجته : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة .

قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبى سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان بحديث الحوض ، فبعث إليه فأحضره على البريد[1] ، وقال له كالمتوجع له : يا أباسلام ، ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافهنى بالحديث مشافهة، فقال : سمعت ثوبان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوضى ما بين عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين : الشعث رءوسا الدنس ثيابا ، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد[2] » .

فقال عمر : لكنى نكحت المتنعمات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لا أغسل رأسى حتى يشعث ، ولا ألق ثوبى حتى يتسخ .

قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفا .

---

(١) فشق عليه الركوب ، إذ يظهر أنه كان كبير السن حينئذ .

(٢) الحديث رواه الترمذى بسند غريب ، ولكنه مؤيد بالصحاح . والبلقاء أقليم بجنوب فلسطين الشام . والشعث رءوسا : الذين تفرق شعرهم وانتشر . والسدد : جمع سدة وهى أبواب الحكام والأمراء .

وانظر التاج الجامع للأصول ، ج ٥ ص ٤٠٤ . وابن الجوزى ، ص ١٤٩ .

وكان يقرأ فى المصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة .

وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى .

وأهدى إليه رجل من أهل بيته تفاحا ، فاشتمه ثم رده مع الرسول وقال له: قل له قد بلغت محلها . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، فأما نحن فهى لنا رشوة[1] .

قالوا : وكان يوسع على عماله فى النفقة ، يعطى الرجل منهم فى الشهر مائة دينار ، ومائتى دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا فى كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقال له : لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا فى جهد عظيم ، فاعتذر بأن معهم سلفا كثيراً من قبل ذلك .

وقال يوما لرجل من ولد على : إنى لأستحى من الله أن تقف ببابى ولا يؤذن له .

وقال لآخر منهم : إنى لأستحى من الله ، وأرغب أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به .

وقال أيضاً : كنا نحن وبنو عمنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا ، نلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة ، فأكسدت كل نافق ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أخى خطاب ، ثنا خالد بن خداش ، ثنا حماد بن زيد ، عن موسى بن أعين الراعى — وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة — قال : كانت الأسد والغنم والوحوش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب ، فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك :

---

(١) انظر ابن الجوزى ، ص ١٦٠ .

قال : فحبسناه فوجدناه قد هلك فى تلك الليلة[1] .

ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوة . وله شاهد من وجه آخر .

ومن دعائه : اللهم إن رجالا أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إياهم ن قبل طاعتهم إياك ، فوفقنى .

ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر[2] .

وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبية ، وتوفاك مع الأبرار .

وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطينا . متلوثاً بالخطايا ، أتمنى على الله عز وجل .

ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

---

(١) انظر ص ٧٠ من أبن الجوزى ففيه أكثر من رواية وكرمان أقليم بين فارس وسجستان وبلد قرب غزنة .

(٢) وفى رواية : « اللهم أن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ، فإن رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء ، فلتسعنى رحمتك ياأرحم الراحمين . اللهم أنك خلقت قوما فاطاعوك فيما أمرتهم به وعملوا فى الذى خلقتهم له ، فرحمتك أياهم كانت قبل طاعتهم لك ياأرحم الراحمين » .

ومن دعائه : « اللهم أصلح من كان فى صلاحه صلاح أمة محمد ، اللهم أهلك من كان فى هلاكه صلاح أمة محمد » ومنه : « اللهم محسن أمة محمد أحسانا ، وأرجم مسيئهم الى التوبة اللهم وحط من أوزارهم برحمتك » ومنه : « اللهم سلم لى دينى ، ومن على بطاعتك ورضاك ما لا يعنينى » ومنه : « اللهم إنى أطعتك فى أحب الأشياء إليك وهو التوحيد . ولم أعصك فى أبغض الأشيا إليك وهو الكفر ، فاغفر لى ما بينهما » ومنه : « اللهم إنى أعوذ بك أن أبدل نعمة الله كفرا ، أو أن أكفرها بعد معرفتها ، أو أن أنساها فلا أثنى عليك بها » ومنه : « اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته ، ولا تأخير شيء عجلته » ومنه : « اللهم سلم سلم » .

انظر إبن الجوزى ، ص ١٩٤ و ١٩٥ . وانظر أبن عبد الحكم ، ص ١١٢ ، ففيه طائفة من الدعوات أيضاً .

وإذا الدر زان حسن وجوه   كان للدر حسن وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر[١] .

وقال رجاء بن حيوة : سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فعشي السراج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ، دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملية . فقلت : أفلا أقوم أصلحه ؟ قال : لا ، ليس من المروءة استخدام الضيف . ثم قام بنفسه فأصلحه ، وصب فيه زيتا ، ثم جاء وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز.

وقال : أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : إنى ليمنعنى من كثرة ذكرها مخافة المباهاة .

وبلغه أن رجلا من أصحابه توفى ، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه ، فصرخوا فى وجهه بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وأن الذى يرزقكم حى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل أمرىء منكم لابد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكيا فليبك على نفسه ، فإن الذى صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور ، فقال لى : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم

---

(١) هذا الرجل هو بلال بن أبى بردة ، وقد على عمر ليهنئه بالخلافة فقال : « من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفتها ، وعن كانت زانته فقد زنتها ، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء .

وتزين طيب الماء طيبا   أن تمسيه ، أين مثاك ؟ أينا ؟

وإذا الدر زان حسن وجوه   كان للدر حسن وجهك زينا

انظر ابن الجوزى ص ٩٣ ، فالخبر هناك بقية .

وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء(١) ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن عذاب الله ، ينتظر ثواب الله .

وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز فى جنازة ، فلما دفنت قال لأصحابه قفوا حتى آتى قبور الأحبة ، فأتاهم فجعل يبكى ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : ياعمر ، ألا تسألنى ما فعلت فى الأحبة ؟ . قال قلت : وما فعلت بهم ؟ . قال : مزقت الأكفان . وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الحدمتين . ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من العضدين ، والعضدين من المنكبين والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن يذهب قال له : تقوى الله والعمل الصالح(٢) .

وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكراً . قال . وفيم يا أمير المؤمنين ؟ . قال . فى القبر وساكنه . أنك لو رأيت الميت بعد ثلاث فى قبره وماصار إليه ، لاستوحشت من قربه ، بعد طول الأنس منك بناحيته ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان . وتجرى فيه الصديد ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شهق شهقة خر مغشياً مغشيا عليه(٣) .

---

(١) المثلات : جمع مثله والمثله نقمة تنزل بالإنسان فتجعلة مثالا يرتدع به غيره وذلك كالنكال. وقد أمثل السلطان فلانا إذا نكل به . وفى سورة الرعد : « وقد خلت من قبلهم المثلات » . وفى رواية : « واستحكم فيهم البلى ، وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلا » . انظر ابن الجوزى ، ص ١٨٣ .

(٢) انظر ابن الجوزى ، فقد أورد هذه العظة بصورة أو مسح ، ص ٢١٢ .

(٣) بقية الخبر : فقالت فاطمة : ويحك يا مزاحم؟ أخرج هذا الرجل عنا ، فلقد نغض علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولى ، فليته لم يل . فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكى ، حتى أفاق من غشيته ، فرآها تبكى ، فقال : يافاطمة ، مايبكيك ؟ قالت : ياأمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا ، فذكرت مصرعك بين يدى الله للموت ، وتخليك من الدنيا ، وفراقك لها ، فذاك الذى أبكانى . قال : حسبك يافاطمة فقد أبلغت . ثم مال ليسقط فضمته إلى صدرها —

وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ (وقفوهم أنهم مسئولون) فجعل يكررها ، وما يستطيع أن يتجاوزها(١)

وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحدا أكثر صلاة وصياما منه ، ولا أحد أشد فرقاً من ربه منه . كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة ، فينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللحاف رحمة له ، وأنا أقول : ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز .

وقال بعضهم . رأيته يبكي حتى بكى دما(٢) .

قالوا وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام(٣) الآية ويقرأ : (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون(٤)) ؟ ونحو هذه الآيات .

= وقالت : يا أبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا ، فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة ، فصبت على وجهه ماء ، ثم نادته : الصلاة يا أمير المؤمنين . فأفاق فزعا . انظر ابن الجوزي ، ص ١٨٧ .

(١) أي من البكاء .

(٢) روى نحو هذا عن ميمون بن مهران ، وحسن بن الحسين ، وراجع ما ذكر في بكاء عمر وحزنه ، عند ابن الجوزي ، من ص ١٨١ إلى ص ١٨٧ .

(٣) هذا جزء من الآية رقم ٥٤ من سورة الأعراف وهي بتمامها : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

وهو أيضا جزء من الآية رقم ٣ من سورة يونس ، وهي بتمامها . « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » .

(٤) سورة الأعراف ، آية ٩٧ . والبأس : الشدة والبيات : قصد العدو ليلا .

وكان يجمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء ، فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بينهم جنازة .

وقال أبو بكر الصولى : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزود مما كان يجمعه ... سوى حنوط غداة البين فى خرق(١)
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق
بأيما بلد كانت منيته ... أن لا يسير طائعاً فى قصدها يسق

ونظر عمر بن عبد العزيز — وهو فى جنازة — إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس ، وانحازوا إلى الظل(٢) . فبكى وأنشد .

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا(٣)
ويألف الظل كى تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوما راغماً جدثا(٤)
فى قعر مظلمة غبراء موحشة ... يطيل فى قعرها تحت الثرى اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى ، لم تخلقى عبثا

هذه الأبيات ذكرها الآجرى فى أدب النفوس بزيادة فيها فقال : أخبرنا أبو بكر ، أنبانا أبو حفظى عمر بن سعد القراطيسى . حدثنا أبو بكر بن عبد الله ابن أبى الدنيا ، حدثنى محمد بن صالح القرشى أخبرنى عمر بن الخطاب الأزدى ، حدثنى ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبى عمرة ، قال :

أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى أليون طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى . يا أمير المؤمنين ، ائذن لى فى بعض بنى يخرج معى وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور — فقال له . أنظر من يخرج

(١) الحنوط : ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة . والبين : الفراق . ويراد به هنا الموت .

(٢) وفى رواية أنه كان يسير ذات يوم فى جماعة ، فلما كثر الغبار تلثم ، ثم ذكر أبياتا قالها عبد الله بن عبد الأعلى لجذب الشام ، ثم قال الأبيات ، انظر ابن الجوزى ، ص ٢٢٦ .

(٣) الشين : العيب . الشعث : تفرق شعر الرأس .

(٤) راغما : كارها . الجدث : القبر .

معك من ولدك فقال : عبد الله . فقال له عمر : انى رأيت ابنك عبد الله يمشى مشية كرهتها منه ومقته عليها ، وبلغنى أنه يقول الشعر : فقال عبد الأعلى : أما مشيته تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فانما هو نياحة ينوح بها على نفسه . فقال له : مر عبد الله يأتينى وخذ معك غيره . فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشده فأنشده ذلك الشعر المتقدم :

يا نفس قبل الردى ، لم تخلقى عبثا ... تجهزى بجهـــاز تبلغين به[1]
ان الردى وارث الباقى وما ورثا ... ولا تـكدى لمن يبقى وتفتقرى[2]
فوافت الحرث موقورا كما حرثا ... عن مدية كان فيها يقطع مدته
واخشى حوادث صرف الدهر فى مهل
واستيقظى ، لا تكونى كالذى بحثا[3]

قد استوى عند من طاب أو خبثا ... لا تأمنى فجمع دهر مترف ختل[4]
أضحى به آمنا أمسى وقد حدثا ... يا رب ذى أمل فيه على وجل
أو الغبار يخاف الشين والشعثا ... من كان حين تصيب الشمس جبهته
فـكيف يسكن يوما راغما حدثا ... ويألف الظل كى تبقى بشـاشته
يطيل تحت الثرى من قعرها اللبثا ... قفراء موحشة ، عبراء مظلمـــه

وقد ذكرها ابن أبى الدنيا ، فعمر أنشدها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويبكى .

وقال الفضل بن عباس الحلبي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :

ولاخير فى عيش امرىء لم يكن له ... من الله فى دار القرار نصيب

---

(١) سقط بعد هذا البيت بيت ، هو :
وسابقى بغتة الآجال ، وانكمشى ... قبل اللزوم ، فلا منجا ولا غوثا
وقد قص ابن الجوزى القصة فى ص ٢٢٦ .
(٢) الـكد : التعب والاستعجال . والردى : الموت .
(٣) صرف الدهر : مصائبه ونوائبه .
(٤) مترف جبار ، وختل خادع .

وزاد غيره معه بيتا حسناً ، وهو يقوله :

فإن تعجب الدنيا أناسا فإنها متاع قليل ، والزوال قريب

ومن شعره الذى أنشده ابن الجوزى :

أنا ميت وعز من لا يموت قد تيقنت أننى سأموت
ليس ملك يزيله الموت ملكا إنما الملك ملك من لا يموت !

وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تسر بما يفنى ، وتفرح بالمنى كما اغتر باللذات فى النوم حالم
نهارك يامغرور سهو وغفلة وليلك نوم ، والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه[1] كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم !
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت محاجر عينيك الدموع السواجم
بل أصبحت فى النوم الطويل ، وقد دنت
إليك أمور مقطعات عظائم
وتكدح فيما سوف تكره رغبة كذلك فى الدنيا تعيش البهائم
فلا أنت فى النوم يوما بسالم ولا أنت فى الايقاظ يقظان حازم(٢)

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : انتبه عمر ذات ليلة وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة . فقلت : أخبرنى بها . فقال حتى نصبح . فلما صلى بالمسلمين دخل فسأله فقال : رأيت كأنى دفعت إلى أرض خضراء واسعة . كأنها بساط أخضر ، وإذا فيها قصر ، كأنه الفضة ، فخرج منه خارج فنادى : أين محمد بن عبد الله ؟ أين رسول الله ؟ . . . إذا أقبل رسول

---

(١) غبه : عاقبته ونتيجته .

(٢) أنظر ابن الجوزى ص ٢٢٥ .

الله صلى الله عليه وسلم ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ . فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ . فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادى : أين على بن أبي طالب ؟ . فأقبل فدخل . (ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ . فقمت فدخلت ، فجلست إلى جانب عمر بن الخطاب . وهو عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ، فقلت لأب : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم . ثم سمعت هاتفا يهتف بيني وبينه نور لا أراه وهو يقول : ياعمر بن عبد العزيز ، تمسك بما أنت عليه ، واثبت على ما أنت عليه .

ثم كأنه أذن لى فى الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذى نصرنى ربى . وإذا على فى أثره ، وهو يقول : الحمد لله الذى غفر لى ربى[1] .

فصل

وقد ذكرنا فى دلائل النبوة الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل سنة من يجدد لها أمر دينها » . فقال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزى(٢) وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المئة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل فى ذلك وأحق لامامه وعموم ولايته ، وقيامه واجتهاده فى تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب . وكان كثيراً ما تشبه به .

وقد جمع الشيخ أبو الفرج بن الجوزى سيرة لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب فى مجلد على حدة ، ومسنده

---

(١) أنظر ابن الجوزى ص ٢٤٦ .

(٢) أنظر كتاب البداية والنهاية .

مجلد ضخم ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفا صالحا هنا ، يستدل به على مالم نذكره(١) .

وقد كان عمر رحمه الله يعطى من انقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها للفقة ونشر العلم وتلاوة القرآن فى كل عام من بيت المال مائة دينار(٢) .

وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالنسبة ، ويقول : إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله .

وكتب إلى سائر البلاد ألا يركب ذمى من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قباء ولا طيلسانا ولا السراويل ، ولا يمشين أحد منهم إلا بزنار من جلد ، وهو مقرون الناصية ، ومن وجد منهم فى منزله سلاح أخذ منه(٣) .

وكتب أيضاً الا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن . فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى ألا يكون عنده خير .

وكان يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضاعها فهو لما سواها من شرائع الاسلام أشد تضييعا . .

وقد كان يكتب الموعظة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة ، وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه ، وذلك إن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعظ .

---

(١) أنظر ابن الجوزى ص ٦٠ . وجاء فيه : حدثنا أبو سعيد الفريابى قال . قال أحمد بن حنبل . أن الله تعالى يقيض للناس . فى كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن ، وينفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب . فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى .

(٢) أنظر ابن عبد الحكم ص ١٦٧ . وابن الجوزى ، ص ١٠٣ . ومن كلام عمر فى العلم . « لن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحبهم (يعنى العلماء) فإن لم تستطع فلا تبغضهم » وقال ، « تعلموا العلم ، فإنه زين للغنى ، وعون للفقير ، لا أقول أنه يطلب به ، ولكنه يدعو إلى القناعة » .

أنظر ص ١٣٧ و ١٧٩ من ابن عبد الحكم .

(٣) أنظر ابن عبد الحكم ص ١٦٦ . وابن الجوزى ص ٩٩ .

وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من أستعمله عمر بن عبد العزيز ثقة .

وقد كتب إليه الحسن البصرى بمواعظ حسان ، ولو تقصينا ذلك لطال هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه أشارة إلى ذلك(١).

وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة ، فصباحها القيامة ، فيالها من ليلة أو ياله من صباح ! وكان يوما على الكافرين عسيراً .

وكتب إلى آخر . أذكرك طول سهيراً هل النار مع خلود الأبد ، وأياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك .

قالوا : فخلع هذا العامل نفسه من العمالة ، وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

فصل

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا(٢) ، حتى أنه رد فص خاتم كان فى يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حقه . وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم فى الملبس والمأكل والمتاع ، حتى أنه ترك التمتع بزوجه الحسناء فاطمة بنت عبد الملك ، يقال كانت من أجمل النساء ، ويقال أنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم .

وقد كان دخله فى كل سنة — قبل أن يلى الخلافة — أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله ، حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار فى كل سنة ، وكان حاصله فى خلافته ثلاثمائة درهم .

---

(١) ذكر ابن الجوزى طائفة كبيرة من مواعظ الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز وأولاها طويلة مبسوطة ومن مواعظ الحسن له : « أما بعد ياأمير المؤمنين ، فكن المثل من المسلمين أخا ، وللكبير ابنا ، وللصغير أبا ، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ، ولا تضربن لغضبك سوطا واحداً فتدخل النار » . ومنها : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل ، والسلام عليك » ص ١٢١ إلى ص ١٢٦ . وانظر كذلك ابن عبد الحكم ، ص١٠٩ وص ١٥٠ .

(٢) عقد ابن الجوزى فصلا ذكر فيه رد عمر للمظالم ، انظر ص ١٠٤ — ١١١

وكان له من الأولاد جماعة[١] ، وكان ابنه عبد الملك أجلهم[٢] ، فمات فى حياته زمن خلافته ، حتى يقال أنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضيه الله فلا أكرهه .

وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه . فلما ولى الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ، ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه[٣] . وكان يلبس الفروة الغليظة ، وكان سراجه على ثلاث قصبات فى رأسهن طين ، ولم يبن شيئاً فى أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا ألا عوضنى الله ما هو خير منه .

وكان يأكل الغليظ ، ولا يبالى بشىء من النعيم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده ، حتى قال أبو سليمان الدارانى : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرنى ، لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كمن لم يجرب[٤] !! . . .

وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز .

وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً .

وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروحته ، فنامت هى ، فأخذ المروحة من يدها وجعل يروحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابنى .

وقال له رجل : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الإسلام عنى خيراً .

---

(١) هم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وإبراهيم وإسحق ويعقوب وبكر وموسى والوليد وعاصم ويزيد وزيان . وكان له بنات هن أمينة وأم عمار وأم عبد الله .

(٢) وهو الذى قال فيه عمر : «الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى» . وروى أنه كان يفضل أباه . انظر ابن الجوزى ، ص ٢٥٨ .

(٣) انظر ابن الجوزى ، ص ١٥٥ وما بعدها .

(٤) تقدم الحديث عن هذا .

ويقال أنه كان يلبس ثيابه مسحاً غليظاً من شعر ، ويضع فى رقبته غلا إذا قام يصلى من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه فى مكان ، وختم عليه ، فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنونه مالا أو جوهراً من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان ، فإذا فيه غل ومسح(١).

وكان يبكى حتى يبكى الدم من الدموع ، ويقال أنه بكى فوق سطح حتى سأل دمعه من الميزاب ، وكان يأكل من العدس ليرق قلبه وتغزر دمعته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وقرأ رجل عنده : « وإذا ألقوا منها مكانه ضيقا مقرنين(٢) » الآية ، فبكى بكاء شديداً ، ثم قام فدخل منزله ، وتفرق الناس عنه .

وكان يكثر أن يقول : اللهم سلم سلم ! ...

وكان يقول : اللهم أصلح من كان فى صلاحه صلاح . لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأهلك من كان فى هلاكه صلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم .

وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ، حتى يحكم نفسه ، لواكل الناس عن الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة .

وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله . أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم وأما الأعداء فغرتهم وشتتهم وأبعدتهم عن الله .

وقال : قد أفلح من عصم من المراء(٣) ، والغضب ، والطمع .

وقال لرجل : من سيد قومك ؟ . قال : انا . قال : لو كنت كذلك لم تقله .

---

(١) تقدم الحديث عنه فى هذا الكتاب .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٣ ، والآية بتمامها : « وإذا لقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً » ومقرنين : أى مقيدين مقرنين فى الأصفاد . والثبور : الهلاك .

(٣) المراء والامتراء والمماراة : المحاجة فيما فيه مرية أى تردد ومن كلام عمر : « احذروا المراء فإنه لاتؤمن فتنته ، ولا تفهم حكمته » .

وقال : أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب .

وقال : لقد بورك لعبد فى حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع .

وقال : قيدوا العلم بالكتاب[١] .

وقال لرجل : علم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى[٢] .

وتكلم عنده رجل فأحسن ، فقال : هذا هو السحر الحلال .

وقصته مع أبى حازم[٣] مطولة ، حين رآه وهو خليفة ، وقد شحب وجهه من التقشف ، وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك نقيا ، ووجهك وضيا ، وطعامك شهيا ، ومركبك وطيا[٤] ؟ .

فقال له : ألم تخبرنى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من ورائكم عقبة كئودا لا يجوزها الأكل منامر مهزول[٥] » ؟ .

ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق ، فذكر أنه لقى فى غشيته تلك أن القيامة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم ، فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف ، قتلنى ربى بكل قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر

---

(١) أى بالكتابة .

(٢) يروى أن عمر قال هذا لعثمان الدجنى حينما دخل مع ابنه حريث على عمر . وانظر ابن الجوزى ، ص ٢٣٥ — ٢٤١ ، فقد ذكر الكلمات المذكورة هنا وغيرها .

(٣) هو أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج التمار الصوفى الفاسى المدنى روى عن الكثيرين ، وهو ثقة ، وأصله فارسى ، وكان قاضى أهل المدينة ، ومن عبادهم وزهادهم ، وله محاورة بليغة مع سليمان بن عبد الملك . ومات . فى خلافة أبى جعفر المنصور بعد سنة أربعين ومئة ، وقبل غير ذلك ، ولنا عن أبى حازم كتابة مبسوطة فى غير هذا المقام .

(٤) النقى : النظيف . والوضى : الوضىء المشرق . والشهى : الطيب المشتهى . والوطى : المهيأ المريح .

(٥) العقبة الكئود : الشاقة . ويجوزها ويخلص منها . والضامر : الجواد المتماسك الجسم الذى هيء للغزو وسرعة الجرى . والمهزول : النحيل الخفيف . وفى حديث أبى الدرداء : « أن بين أيدينا عقبة كئودا لا يجوزها إلا الرحل المخف » .

ما ينتظره الموحدون[١] .

وفضائله ومآثره كثيرة جدا ، وفيما ذكرنا كفاية ، ولله الحمد والمنة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل ، وقيل سببها أن مولى له سمه فى طعام أو شراب[٢] ، وأعطى على ذلك ألف دينار ، فحصل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم فقال : لقد علمت يوم سقيت السم ، ثم استدعى مولاه الذى سقاه ، فقال له : ويحك ! ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : ألف دينار أعطيتها . فقال : هاتها . فأحضرها فوضعها فى بيت المال . ثم قال له : اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك ! ...

ثم قيل لعمر : تدارك نفسك . فقال : والله لو أن شفائى أن أمس شحمة أذنى أوتى بطيب فأشمه مافعلت . فقيل له : هؤلاء بنوك — وكانوا اثنى عشر — ألا توصى لهم بشىء فإنهم فقراء . فقال : « إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين »[٣] والله لا أعطيتهم حق أحد ، وهم بين رجلين ، إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وأما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه .

وفى رواية : فلا أبالى فى أى واد هلك .

وفى رواية : أفأدع له ما يستعين به على معصية الله . فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لا أفعل ! . .

---

(١) توسع ابن الجوزى فى بسط هذه القصة ، انظر ص ٢٤٢ — ٢٤٦ ، وفى آخر القصة قال أبو حازم بعد كلمة الحجاج : « فعاهدت الله عز وجل بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز أن لا أقطع على أحد بالنار ممن يموت يقول : لا إله إلا الله » .

(٢) وقيل أن سببها الخوف ، قالت زوجته حينما سئلت عن مرضه : « أرى جل ذلك — أو بدأه — الخوف » ولما سألها الطبيب : هل رأيت بوله اليوم ؟

قالت : ما ببوله من بأس إلا المهم بأمر الناس . وقال ابن لهيعة : « وجدوا فى بعض الكتب : تقتله خشية الله عز وجل — يعنى عمر » . انظر ابن الجوزى ، ص ٢٧٦ . وانظر ابن عبد الحكم ، ص ١١٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٩٦ .

ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا ، وأوصاهم بهذا الكلام ، ثم قال انصرفوا عصمكم الله ، وأحسن الخلافة عليكم(١) .

قال : فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس فى سبيل الله .

وكان بعض سو لاأدليمان بن عبد الملك — مع كثرة ما ترك لهم من الأموال — يتعاطى ، ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز ، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل ، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم ، فيضيعون وتذهب أموالهم فى شهوات أولادهم .

وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتا دفنت فى القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ؟ فقال : والله لأن يعذبنى الله بكل عذاب — إلا النار ، فإنه لا صبر لى عليها — أحب إلى من أن يعلم الله من قلبى أنى لذلك الموضع أهل(٢) .

قالوا : وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص ، وكانت مدة مرضه عشرين يوما ولما احتضر(٣) قال : أجلسونى ، فأجلسوه ، فقال : إلهى أنا الذى أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت (ثلاثا) ، ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه فأحد النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين ! ..

فقال : إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان(٤) . ثم قبض من ساعته .

---

(١) وكان مما قاله لهم : « أى بنى ، انكم لن تلقوا أحدا من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقا ، أى بنى ، أن أباكم ميل (خير) بين أمرين : بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله » . انظر ابن الجوزى ، ص ٢٧٩ و ٢٨٠ .

(٢) انظر ابن الجوزى ، ص ٢٨٢ . وقد اشترى عمر قبره من راهب ، لأن موضع قبره فى دير سمعان كان تابعا لدير هناك . قيل اشتراه بدينارين ، وقيل بستة وقيل بعشرة ، وقيل بثلاثين دينارا .

(٣) احتضر الرجل وحضر « بالبناء للمجهول فيهما » : دنا موته ، أو حضره الموت .

(٤) أراد الملائكة الذين يحضرونه . ووصفت صلاة الصبح أنها محضورة ، أى تحضرها ملائكة الليل والنهار ، وحضرة الرجل قربه .

وفى رواية أنه قال لأهله : أخرجوا عنى . فخرجوا ، وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك ، وأخته فاطمة ، فسمعوه يقول : مرحبا بهذه الوجوه التى ليست بوجوه إنس ولا جان ، ثم قرأ : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين[1] » .

ثم هدأ الصوت ، فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض ، وسوى إلى القبلة ، وقبض . وقال أبو بكر بن أبى شيبة : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، عن الدراوردى عن عبد العزيز بن أبى سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب ، قرأوها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار(٢) فأدخلوها بين أكفانه معه !

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر فى ترجمة عبد الصمد بن اسماعيل بسنده عن عمير بن حبيب السلمى ، قال : أسرت أنا وثمانية فى زمن بنى أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابى ، وشفع فى بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقنى له ، فأخذنى إلى منزله ، وإذا له ابنة مثل الشمس ، فعرضها على ، على أن يقاسمنى نعمته ، وادخل معه فى دينه ، فأبيت ، وخلت بى ابنته فعرضت نفسها على فامتنعت ، فقالت : مايمنعك من ذلك ؟ فقلت يمنعنى دينى فلا أترك دينى لامرأة ولا لشيء .

فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ . قلت : نعم . فقالت سر على هذا النجم بالليل ، واكمن النهار ، فإنه يلقيك إلى بلادك .

قال : فسرت كذلك ، قال فبينا أنا فى اليوم الرابع مكتمن(٣) إذا بخيل مقبلة ، فخشيت أن تكون فى طلبى ، فإذا أنا بأصحابى الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير !! . . فقلت لهم : أوليس

(١) سورة القصص ، آية ٨٣ .

(٢) انظر ابن الجوزى ، ص ٢٥١ .

(٣) اكتمن : اختفى .

قد قتلتم ؟ . قالوا : بلى ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز .

قال : ثم قال لى بعضهم : ناولنى يدك ياعمر ، فأردفنى ، فسرنا يسيراً ثم قذف بى قذفة وقعت قرب منزلى بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقنى شر .

وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فإذا حللت عقدة الكفن أن أنظر فى وجهه فادلى ، ففعلت ، فإذا وجهه مثل القراطيس بياضا ، وكان قد اخبرنى أنه نظر فى وجه كل من دفنه قبله من الخلفاء ، وكان يحل عن وجوههم فإذا هى مسودة(١) .

وروى ابن عساكر فى ترجمة يوسف بن ماهك ، قال :

بينما نحن نسوى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار(٢).

ساقه من طريق ابراهيم بن بشار ، عن عباد بن عمرو ، عن محمد بن يزيد البصرى ، عن يوسف بن ماهك ، فذكره ، وفيه غرابة شديدة ، والله أعلم .

وقد رئيت له منامات صالحة ، وتأسف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والعباد ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيبانى لكثير عزه يرثى عمر :

عمت صنائعه فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... فى كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله ... خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

---

(١) عن رجاء بن حيوة قال : قال لى عمر بن عبد العزيز فى مرضه : كن فيمن يغسلنى ويكفننى ويدخل قبرى ، فإذا وضعونى فى لحدى فحل العقدة ، ثم انظر فى وجهى ، فإنى قد دفنت ثلاثة من الخلفاء ، كلهم إذا أنا وضعته فى لحده حللت العقدة ، ثم نظرت إلى وجهه ، فإذا وجهه مسود ، فى غير القبلة . قال رجاء : فكنت فيمن غسله وكفنه ودخل فى قبره ، فلما حللت العقدة ، نظرت إلى وجهه ، فإذا وجهه كالقراطيس فى القبلة . أنظر ابن الجوزى ص ٢٨٠ .

(٢) أنظر ابن الجوزى ، ص ٢٨٧ .

وقال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... ياخير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرا عظيما فاضطلعت به ... وسرت فيه بأمر الله ياعمر
الشمس كاسفة . ليست بطالعة ... تبكى عليك نجوم والقمرا

وقال محارب بن دثار رحمه الله يرثى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت ياعمر
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم ... كادت تموت وأخرى منك تنتظر(١)
يالهف نفسى ، ولهف الواجدين معى
على العـــدول التى تغتالها الحفر(٢)
ثلاثة مارأيت عينى لهم شبها ... تضم أعظمهم فى المسجد الحفر(٣)
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهـــدا ... سقيالها سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك والأقـدار غالبة ... تأتى رواحا وتبيانا وتبتـكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعـــه
بدير سمعان ، لـكن يغلب القـدرا(٤)

قالوا : وكانت وفاته بدير سمعان من أرض حمص ؛ يوم الخميس، وقيل الجمعة لخمس مضين — وقيل بقين — من رجب ، وقيل لعشر بقين منه(٥) ، سنة أحدى — وقيل ثنتين — ومئة .

---

(١) نعشت : أنهضت ورفعت .
(٢) العدول : جمع عدل ، أى العادل . وتغتالهم : تهلـكهم .
(٣) يقصد بالثلاثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر ، رضى الله عنهما .
(٤) ومما رثى به عمر قول الشاعر ابن عائشة :

أقول لما نعى الناعون لى عمرا ... لا يبعدث قوام الحق والدين
لم تلهه عمره عـــين يفجرها ... ولا النخيل ولا ركض البراذين
قدغادر القوم فى القبر الذى لحدوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين

أنظر ابن الجوزى ، ص ٣٩٤ .

(٥) وقيل لأربع بقين من رجب ، أنظر ابن الجوزى ، ص ٢٨٧ .

وصلى عليه ابن عمه مسلمة بن عبدالملك ، وقيل : صلى عليه يزيد بن عبدالملك. وقيل : ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

وكان عمره يوم مات تسعا وثلاثين سنة وأشهراً ، وقيل . أنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل لسنة ، وقيل : بأكثر . وقيل : أنه عاش ثلاثا وستين سنة ، وقيل : ستا وثلاثين ، وقيل : سبعا وثلاثين ، وقيل : ثماني وثلاثين سنة ، وقيل : مابين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها .

وقال أحمد عن عبد الرازق عن معمر : مات على رأس خمس وأربعين سنة قال ابن عساكر : وهذا وهم .والصحيح الأول تسعا وثلاثين سنة وأشهراً

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام . وقيل أربعة عشر يوما وقيل : سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية غائر العينين ، بجبهته أثر شجة ، وكان قد شاب وخضب رحمة الله ، والله سبحانه أعلم .

فصل

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ، ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالى ولك ؟ تنح عنى إنما أنا رجل من المسلمين .

ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس إليه ، فقال : أيها الناس ، إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ؛ وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فأختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . . .

فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك[1] .

---

(١) فى رواية أنهم قالوا بعد ذلك « بل أمرنا باليمن والبركة » ابن الجوزى ص ٥٣ .

فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله(١) ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ، ولا فى كتابها، ولا فى نبيها ، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم . وإنى والله لا أعطى أحداً باطلا ، ولا أمنع أحداً حقاً .

ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

ثم نزل فدخل ، فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التى تبسط للخلفاء ، أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها فى بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلا(٢) ، فأتاه ابنه عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين ، ماذا تريد أن تصنع ؟ . قال يا بنى أقيل . قال : تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ . فقال إنى سهرت البارحة فى أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ . قال : إدن منى أى بنى ، فدنا منه فقبل بين عينيه وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى ! . .

ثم قام وخرج ، وترك القائلة ، وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها(٣) . فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص ، فقال :

---

(١) وفى رواية أنه قال بعد ذلك « ولمن من لا يذكر من آبائه — فيما بينه وبين آدم عليه السلام — أبا حيا لمعرق له فى الموت » . المرجع السابق .

(٢) يتبوأ : ينزل . وتبوأت منزلا : أى اتخذته . والمباءة : المنزل . والمقيل : مكان القيلولة وهى الاستراحة نصف النهار .

(٣) فى رواية : « فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يد سليمان وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة ، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل » ابن الجوزى ص ٥٤ .

يا أمير المؤمنين ، أسألك كتاب الله[1] ، قال : وما ذاك ؟ . قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى — والعباس جالس — فقال له عمر : يا عباس ، ما تقول ؟ . قال : نعم ، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد ، وكتب لى بها سجلا . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فأردد عليه ضيعته . . . فردها عليه .

ثم تتابع الناس فى رفع المظالم إليه فما رفعت إليه مظلمة إلا ردها سواء كانت فى يده أو فى يد غيره ، حتى أخذ أموال بنى مروان وغيرهم ، مما كان فى أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يفدهم ذلك شيئاً . فأتوا عمتهم فاطمة بنت مروان — وكانت عمته — فشكوا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه أخذ أموالهم ، ويستنقصون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هـذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة .

وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثها ، فرآها غضبى ، وهى على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ . فقالت : بنو أخى عبد الملك وأولادهم يهانون فى زمانك وولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، وتسبون عندك فلا تنكر ؟ ! .

فضحك عمر ، وعلم[2] أنها متحملة ، وأن عقلها قـد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها[3] ، فلما رأى ذلك أخذ معها فى الجد ، فقال : يا عمـة ! إعلمى أن النبى صلى الله عليـه وسلم مات وترك الناس على نهر مورود[4] ، فولى ذلك النهر بعده رجل ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ،

---

(١) أى أسألك الحكم بما فيه من عدل .

(٢) متحملة ! متـكلفة مشقة .

(٣) لا يتحيز عنها ! أى لا يزول عنها .

(٤) أى يرده الناس متساوين .

ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر ، فكرى منه ساقية[1] ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقى حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وايم الله ، لئن أبقانى الله لأردنه إلى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة[2] الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه فى غيرهم ؟ .

فقالت : فلا يسبوا عندك ! . قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته ، فآخذ له بها[3] . . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر فى مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ . فقالت : والله ماله قميص غيره[4] . وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدرى هؤلاء ماأبكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم العبرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ . فقال : إنى ذكرت منصرف الخلائق من بين يدى الله ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال ، فسد أنفه حتى وضع[5] ، فقيل له فى ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريحه ؟ .

ولما أحتضر دعا بأولاده — وكانوا بضعة عشر ذكراً[6] — فنظر إليهم فذرفت[7] عيناه ، ثم قال : بنفسى الفتية ! . . .

---

(١) كرى منه ـ أى حفر منه .

(٢) بطانة الرجل صاحب سره وداخلة أمره الذى يشاوره فى أحواله وهو يريدهنا الأقارب.

(٣) أنظر ابن الجوزى ص ١١٦ .

(٤) روى ابن الجوزى هذا الخبر من رواية أنظر ص ١٥٣ .

(٥) أى حتى وضعوا المسك فى موضعه المخصص له .

(٦) انظر هامش ص   من هذا الكتاب .

(٧) ذرفت العين : جرى دمعها .

وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

يرى مستكيناً وهو للقول ماقت ... به عن حديث القوم ماهو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كله[1] ... وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يرامهم ... فليس له منهم خدين يهازله
تذكر مايبقى من العيش فارعوى[2] ... فأشغله عن عاجل العيش آجله

وروى ابن أبي الدنيا ، عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر ابن عبد العزيز وعنده سابق البربرى ، وهو ينشده شعراً ، فانتهى فى شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آمنا ... أتته المنايا بغتة بعد ماهجع
فلم يستطع إذا جاءه الموت بغتة ... فراراً ، ولا منه بقوته أمتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعاً[3] ... ولا يسمع الداعى وإن صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى لماله ... ولا معدما فى المال ذا حاجة يذع

وقال رجاء بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وقام يزيد بن عبد الملك بعده فى الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك ، فقال ليزيد : يا أمير المؤمنين ، أن هذا المرائى — يعنى عمر بن عبد العزيز — قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين[4] ، فى داره

---

(١) يروى هذا الشطر هكذا : « وأزعجه خوف عن اللهو كله » ابن الجوزى ص ٢٣٤
(٢) فى رواية : « آجلا » « بدل » « فارعوى » . المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .
(٣) فى حديث عائشة : أخذت أبا بكر عشية عند الموت ، فقالت :

من لا يزال دمعه مقنعا ... لابد يوما أنه يهراق

ومقنع : محبوس فى جوفه . ولعله أراد هنا أن الميت سيحبس فى كفنه وقبره .
(٤) هل هذا الاتهام كان بسبب رد عمر بن الوليد قد غاظه ذلك ، وقد كتب الى عمر وهو خليفة خطابا شديد اللهجة يحذره فيه من رد هذه المظالم ، فكتب اليه عمر خطابا شديدا يذكره فيه بأن أمه كانت أمة مشتراة ، ويذكره بتجبره وسيئاته وسيئات أهله . انظر ابن الجوزى ، ص ١١٢ وما بعدها . وانظر كذلك ابن عبد الحكم ص ١٥٣ وما بعدها .

مملوءين وهما مقفولان[1] على ذلك الدر والجوهر .

فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك مرأة عمر بلغنى أن عمر خلف جوهراً ودرا فى بيتين مقفولين . فأرسلت إليه : يا أخى ما ترك عمر من سبد ولا لبد[2] ، إلا مافى هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فحله فوجد فيه قميصاً غليظاً مرقوعاً ، ورداء قشبا[3]، وجبة محشوة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما فى البيتين .

فأرسلت تقول له : والذى فجعنى بأمير المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولى الخلافة ، لعلى بكراهته لذلك ، وهذه مفاتيحها ، فتعال فحول ما فيها لبيت مالك .

فركب يزيد — ومعه عمر بن الوليد — حتى دخل الدار ، ففتح أحد البيتين ، فإذا فيه كرسى من أدم[4] ، وأربع آجرات مبسوطات عند الكرسى ، وقمقم . فقال عمر بن الوليد : استغفر الله !! . . .

ثم فتح البيت الثانى ، فوجد فيه مسجداً مفروشاً بالحصا ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر مايدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق . . . كان إذا فتر فى العبادة ، أو ذكر بعض ذنوبه ، وضعها فى رقبته ، وربما كان يضعها إذا نعس لئلا ينام . . .

ووجدوا صندوقاً مقفلا ففتح فوجدوا فيه سفطاً[5] ففتحه فإذا فيه دراعة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ . . .

---

(١) هكذا ، والصواب : مقفلين ، لأنه يقال : قد أقفلت الباب فهو مقفل . انظر النهاية والقاموس فى المادة .

(٢) يقال : ماله سبد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير .

(٣) الرداء القشب : القديم .

(٤) أدم : جلد .

(٥) السفط : شىء يشبه القفة أو الجوالق (الشوال) . والدراعة : القميص . والتبان : سروال صغير .

فبكى يزيد ومن معه ، وقال : يرحمك الله يا أخى ، إن كنت لنقى السريرة نقى العلانية .

وخرج عمر بن الوليد — وهو مخذول — وهو يقول : أستغفر الله . إنما قلت ما قيل لى .

وقال رجاء : لما احتضر جعل يقول : اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب لما عجلت تأخيراً ، ولا لما أخرت تعجيلا ، فلا زال يقول ذلك حتى مات .

وكان يقول : لقد أصبحت ومالى فى الأمور هوى إلا فى مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة : أما بعد ياعمر ، فإنه قد ولى الخلافة والملك قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون ، فانفقأت أعينهم التى كانت لا تفتأ تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير موسدين ، بعدلين الوسائد وتظاهر الفرش والمرفق والسرر والخدم ، وانشقت بطونهم التى كانت تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحرقونه وهم أحياء لتأذى بهم ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ، كانو ينفقون الأموال أسرافاً فى أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون فى حق الله وأمره فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشىء فأفعل ، واستعن بالله ، ولا قوة إلا بالله سبحانه[1] .

وما ملك عما قليل بسالم ولو كثرت أحراسه ومواكبه

---

(١) انظر ابن الجوزى ، ص ١٢٧ . فقد رويت هذه النصيحة هناك بأطول من ذلك .

ومن كان ذا باب شديد وحاجب فعما قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان غير الموت حتى تفرقت إلى غيره أعوانه وحبائبه
فأصبح مسروراً به كل حاسد وأسلمه أصحابه وحبائبه !

وقيل أن هذه الأبيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص : حدثنا عاصم بن عامر ، حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال ، عن ميمون بن مهران ، قال : تكلم عمر ابن عبد العزيز ذات يوم ، وعنده رهط من إخوانه ، ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى عمر ذلك قطع منطقه ، فقلت له : ياأمير المؤمنين ، أمض في موعظتك ، فإني أرجو أن يمن الله به على من سمعه أو بلغه . فقال : إليك عني يا أبا أيوب ، فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالمؤمن من المقال .

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور ؟! ..

وروى عبد الرازق قال : سمعت معمراً يذكر قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن إرطاة — وبلغه عنه بعض ما يكره — : أما بعد ، فإنه غرني بك مجالستك القراء ، وعمامتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت العلانية ، فأحسنا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر ابن عبد العزيز إنه كتب إلى عامل له ، أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مئونته ، ثم أعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ، هو دليل على بطلانها — أو قال دليل عليها — فعليك لزوم السنة ، فإنه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحمق والخطأ والتعمق ، وأنهم

كانوا على كشف الأمور أقوى . وعلى العمل الشديد أشد ، وإنما كان عملهم على الأسد ، ولوكان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير .

فإن قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يشفى ، وأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد قصر أقوام دينهم فجفوا ، وطمح عنهم آخرون فغلوا .

فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذى ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذى يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيب البغدادى من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ ، عن سعيد ابن أبى مريم ، عن رشيد بن سعيد ، قال : حدثنى عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز قال : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر فى رأى من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى فى الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم ، فقال فى خطبته .

إنى لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعد له أحمق . والمكذب له كافر ، ثم تلا قوله تعالى : « ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم »[1] وقوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون[2].

---

(١) سورة فصلت ، آية ٥٤ ، وبقيتها : « ألا أنه بكل شىء محيط » .
(٢) سورة يوسف ، آية ١٠٦

وروى ابن أبى الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بئس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيا لم يعرف النية . أو لم تدخله النية — ذكره فى كتاب النية له .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الرقة والبكاء ، عن مولى لعمر بن عبدالعزيز أنه قال : يا بنى ، ليس الخير أن يسمع لك ويطاع ، وإنما الخير أن تكون قد قد عقلت عن ربك عز وجل ثم أطعته . يابنى لا تأذن اليوم لأحد حتى أصبح ويرفع النهار ، فإنى أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عنى .

فقال له مولاه : رأيتك البارحة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله . قال : فبكى ثم قال : يا بنى ، انى والله ذكرت الوقوف بين يدى الله عز وجل قال : ثم غشى عليه ، فلم يفق حتى علا النهار . قال : فما رأيته بعد ذلك مبتسما حتى مات !! .

وقرأ ذات يوم : « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا[1] ، الآية . فبكى بكاء شديدا ، حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة فجلست تبكى لبكائه . وبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبت ، ما يبكيك ؟ . فقال : يابنى ، خير ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بنى ، لقد خشيت أن أهلك ، وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبى الدنيا عن عبد الأعلى بن أبى عبد الله العنبرى ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة فى ثياب دسمه[2] ، ووراءه حبشى يمشى ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشى ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمكما الله ! . . . حتى صعد المنبر فخطب فقرأ : « إذا الشمس كورت » فقال : وما شأن الشمس ؟ « وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة

---

(١) سورة يونس ، آية ٦١ ، وبقيتها : « إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » .

(٢) دسمة : سوداء .

أزلفت[١] ، فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء ، حتى رأيت حيطان المسجد تبكى معه .

ودخل عليه أعرابى فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بى إليك الحاجة ، وانتهت إليك الغاية ، والله سائلك عنى ، فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ .

فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض على ثلاثمائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان ، فقام بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامى هذا بين يديك مقامك غدا بين يدى الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب . قال : فبكى عمر بكاء شديدا ، ثم قال له : ما حجتك ؟ . فقال : إن عاملك بأذربيجان عدا على ، فأخذ منى إثنى عشر ألف درهم ، فجعلها فى بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه . ثم أرسله مع البريد .

وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فى ليلة باردة شاتية ، فجعلت أصطلى على كانون هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين ، فجعل يصطلى معى على ذلك الكانون ، فقال لى : يا زياد . قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : قص على . قلت : ما أنا بقاص . فقال : تكلم . فقلت : زياد . فقال : ماله ؟ . فقلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة . فقال : صدقت . ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذى فى الكانون ! . . .

وقال له زياد العبدى : يا أمير المؤمنين ، لا تعمل نفسك فى الوصف ،

---

(١) كورت : لفت من كورت العمامة إذا لففتها . سعرت : أوقدت إيقادا شديدا . أزلفت : قريب من المؤمنين .

واعملها فى المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه .

ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن رجل له خصم ألد ماحاله؟ قال : سيء الحال ، قال : فإن كانا خصمين ألدين ؟ . قال : فهو أسوأ حالا . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنئه العيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو خصمك(١) . قال : فبكى عمر حتى تمنيت أنى لم أكن حدثته ذلك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة وأهل البصرة :

أما بعد فإن من الناس من شاب فى هذا الشراب ، ويغشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة(٢) من أشربة حلال، فمن انتبذ فلا ينتبذ إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله عما حرم ، فإنا من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ، ومن استخف بما حرم الله عليه فالله أشد عقوبة له وأشد تنكيلا . . .

---

(١) أنظر أبن الجوزى ، ص ١٣٩

(٢) مندوحة : سعة وفسحة .

مراجع التقديم والتعليق

١ — سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزى .

٢ — سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن عبد الحكم .

٣ — تهذيب الأسماء واللغات ، للنووى

٤ — البداية والنهاية ، لابن كثير .

٥ — تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير .

٦ — الاجتهاد فى طلب الجهاد ، لابن كثير .

٧ — الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ، لابن كثير .

٨ — النهاية فى غريب الحديث ، لابن الأثير .

٩ — التاج الجامع الأصول ، جمع الشيخ مصطفى ناصف .

١٠ — عيون الأخبار ، لابن قتيبة .

١١ — الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز لأحمد الشرباصى .

١٢ — خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز (جزءان) ، لأحمد الشرباصى .

١٣ — الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى .

١٤ — الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى .

١٥ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، لابن تغرى بردى .

١٦ — ذيل الطبقات ، لجلال الدين السيوطى .

١٧ — شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى .

١٨ — ذيل التذكرة ، لأبى المحاسن الحسينى .

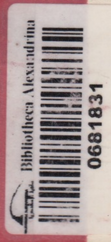
١٩ — طبقات المقربين ، لمحمد على الداوودى المالكى .



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥



العدد ١٢ الثمن ٨ قروش